الطبع والصنعة

وأثرهما فى

جودة الشعر عند نقاد القرن الرابع الهجرى

إعداد

د / حمام السيد أحمد بدوى

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بهديه ، واتبعوا طريقه ففازوا بسعادة الدارين وذلك هو الفوز العظيم .

أما بعد

فقد بلغ النقد الأدبى فى القرن الرابع مكانة عالية ، إذ اتسعت آفاقه ، واعتمد على الذوق السليم ، والعلم والمعرفة فى التعليل لما عُرِضَ له ، وتطرّق علماؤه إلى البحث فى كثير من قضاياه ، فخلفوا لنا ثروة كبيرة من الآراء والوجهات النقدية ، ونحن بحاجة إلى الإفادة من هذه الثروة العلمية العظيمة ، ولهذا اتجهتُ إلى البحث فى قضية من قضاياه ألا وهى : " قضية الطبع والصنعة وأثرهما فى جودة الشعر عند نقاد القرن الرابع الهجرى " وقد جاء عرض هذه القضية فى خمسة مباحث ، وهى على النحو التالى :

المبحث الأول : الطبع والصنعة قضية نقدية .

المبحث الثانى : علامات الشاعر المطبوع .

المبحث الثالث : صفات الشعر المطبوع .

المبحث الرابع : مفهـــوم الصنعـــة .

المبحث الخامس : الجودة فى إطار المذهبين .

والله تعالى أسال أنْ يجعل بفضله هذا العمل من العلم الذى ينتفع به ، وأن يبارك فيه ، ويُثيب عليه ، اللهم آمين .

د / حمام السيد أحمد بدوى

كلية اللغة العربية بجرجا

المبحث الأول : الطبع والصنعة قضية نقدية

إن هذه القضية من القضايا التي ثار حولها جدل واسع في تراثنا النقدي القديم ويظهر ذلك واضحا جليا حول شعر أبي تمام [١] والبحتري [٢] ، فقد تعصب لكل منهما فريق واشتدت الخصومة بين الفريقين في أيهما أفضل من صاحبه ، ورأى البعض أن أبا تمام صاحب مذهب التكلف والتعمل ، بينما رأى البعض الآخر أن البحتري صاحب مذهب الطبع وهذا نراه في كتب النقد الأدبي القديم ، مثل كتاب : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ، والعمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ، والصناعتين لأبي هلال العسكري وغيرها .

---

(١) أبو تمام هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس ينتهي نسبه إلى طيء بجاسم ، قرية من قرى دمشق ، شاعر مطبوع ، اختلف في سنة ولادته ، قيل سنة تسعين ومائة وقيل ثمان وثمانين ومائة ، وقيل سنة اثنين وتسعين ومائة ، وتوفي بالموصل في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل في سنة ثمان وعشرين ومائتين وقيل تسع وعشرين ومائتين – رحمه الله تعالى – انظر ترجمته في : الأغاني ١٦ / ٤١٤ – طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ووفيات الأعيان لابن خلكان – طبع دار الكتب العلمية – المجلد الثاني – حرف الحاء ص ٣ – الطبعة الأولى ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ١ / ٣٤٦ – الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

(٢) البحتري هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد ينتهي نسبه إلى الطائي ، والبحتري لشاعر مشهور ، حسن المذهب ، مطبوع ، متصرف في ضروب الشعر ، ولد بمنبج إحدى مدن العراق سنة ست وقيل خمس ومائتين وتوفي بها سنة أربع وثمانين وقيل وخمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين . الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢١ / ٤٢ – طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ووفيات الأعيان ٥ / ١٦ .

وهنا يمكن لنا أن نطرح سؤالا مشروعا وهو : هل ما ارتآه أصحاب البحتري لصاحبهم صحيحا ؟ أم أن الخلاف في حقيقته كان بين صنعتين متغايرتين : صنعة تلتزم عمود الشعر ومنهج القصيدة الجاهلية وهي صنعة البحتري ، وصنعة تتمرد على القديم وتطلب البديع وتغوص في أعماق المعاني وتولد بعضها من بعض وهي صنعة أبي تمام .

وهذا يتمخض عنه سؤال آخر : هل جودة الشعر تقع تحت تأثير الطبع أم الصنعة ؟ ثم إذا كانت الجودة في الصنعة فأي الصنعتين تقصد ؟ وأين موقع العمل الأدبي الذي يعد مطبوعا مصنوعا من كل هذا ؟ .

أولا : الطبع : فسَّره القاضي الجرجاني في الوساطة بأنه : الموهبة والملكة ، إذ قال : " وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان ، وأنها سواء في المنطق والعبارة وإنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة ، ثم تجد الرجل منها مفلقا ، وابن عمه وجار جنابه ولصيق طنبه بكيئا مفحما ، ونجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة " [١] .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الموهبة هي السبب المباشر في انطلاق لسان الرجل وتفتق شاعريته بالشعر وسر نبوغه فيه .

يقول ابن قتيبة في ذلك المعنى : " والشعراء في الطبع مختلفون : منهم من يسهُل عليه المديح ويعسُر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل " [٢] .

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ص ١٦ – طبع عيسى البابي الحلبي بمصر .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤ – طبع عالم الكتب – الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ويطبق ذلك على شاعر مثل ذى الرمة إذ يقول فيه : " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيها ، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وفراد وحية ، فإذا صار فى المديح جاء الطبع " [١] .

يفهم من هذا أن الطبع هو الفطرة والسليقة التى اختص الله بها كل فرد بعينه ، فهى من قولهم : " طبعه الله على الأمر يطبعه طبعا : فطره " [٢]

ونرى أن الطبع بهذا المعنى هو الشكل العلمى لأسطورة شياطين الشعر التى كانت شائعة فى الجاهلية ، وما تلاها فى الإسلام - وإن خفت صوتها بعض الوقت - وقد وجدنا فى أشعار الشعراء ما يؤكد ذلك وهم يفاخرون به ، وهذا واحد منهم يفتخر بأن شيطانه ذكر وشيطان الآخرين أنثى ، والذكر أقوى ، وليس كالأنثى [٣] :

إنى وكل شاعرٍ من البشر ∴ شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

وهذا ما دفع بنى الحيسحاء يفتخر بأن شيطانه ذكر وشيطان الآخرين أنثى ، فهو بالتالى الشعراء [٤] :

إنى وإن كنت صغير السن ∴ وكان فى العين نبو عنى

فإن شيطانى كبير الجن ∴ يذهب بى فى الشعر كل فن

حتى يزيل عنى التظنى

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٤ .

(٢) لسان العرب لابن منظور - مادة " طبع " ٨ / ١١٨ .

(٣) الشعر لأبى النجم العجلى وهو : الفضل بن قدامة أحد رجازى الإسلام المتقدمين فى الطبقة الأولى ، قال أبو عمرو بن العلاء : هو أبلغ من العجاج ، وكان ينزل بسواد الكوفة ، توفى سنة ١٣٠ هـ . انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤٢ ، والأغانى ٩ / ٧٣ - ٧٤ ، وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ١١٦ .

(٤) الخصائص لابن جنى - ت عبد الحكيم بن محمد ١ / ١٩٢ - طبع المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

وتذكر المصادر التراثية كثيرا من المعلومات عن هذا الموضوع منها : أن الشياطين يلقون على أفواههم الشعر وتلقنهم إياه وتعينهم عليه ويدعون أن لكل فحل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه .

وبلغ من تصديقهم بهذا أن ذكروا لها أسماء فقالوا : إن شيطان الأعشى مسحل ، وشيطان الفرزدق عمرو ، وفى مسحل يقول الأعشى : [١]

وما كنت ذا قول ولكن حبستنى ∴ إذا مسحل يبرى لى القول أنطق

خليلان فيما بيننا من مودة ∴ شريكان جنىٌّ وإنسىّ موفق

وشيطان امرئ القيس لافظ بن لاحظ ، وشيطان عبيد بن الأبرص هبير وشيطان النابغة هازر [٢] أما حسان بن ثابت [٣] فيقول عن شيطانه :

ولى صاحب من بنى الشيصبان ∴ فطورًا أقول وطورًا هوه

وقد جاء فى الجمهرة أن رجلا أتى الفرزدق [١] ، فقال : إنى قلت شعرا فانظره ، قال أنشد :

---

(١) الأعشى : كنيته أبو بصير واسمه ميمون بن قيس بن جندل ابن شراحيل . من وائل ، وكان الأعشى من فحول شعراء الجاهلية وكانوا يسمونه صناجة العرب لجودة شعره أدرك الإسلام ومات قبل أن يسلم . خزانة الأدب للبغدادى ١ / ١٨١ .

(٢) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى - تحقيق / على محمد البجاوى - ط بيروت ص ٥٠ .

(٣) حسان : هو حسان بن ثابت بن المنذر من بنى النجار ، يكنى أبا الوليد وهو فحل من فحول الشعراء ، قيل أنه أشعر أهل المدر ، وكان أحد المعمرين من المخضرمين ، عُمِّر مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الإسلام ، فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى ﷺ فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام ، توفى سنة ٥٤ هـ . الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٠ ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ٤ / ١٤١ ، وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٢٢٧ .

ومنهم عمر المحمود نائله ... كأنما رأسه طين الخوابيم

فضحك الفرزدق ، ثم قال : يا ابن أخي ، إن للشعر شيطانين يُدعى أحدهما الهوجل والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوجل فسد شعره ، وإنهما قد اجتمعا لك في هذا البيت فكان معك الهوجل في أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت [٢].

وعمومًا فإنّ هذه القوى الخفية التي تدفع الشاعر إلى القول والإجادة فيه ليست على درجة واحدة دائما بل هي متنوعة في النفس الواحدة – صعودا وهبوطا ، قوة وضعفا – ومما يشهد بصحة ذلك قول الفرزدق : " أنا أشعر تميم عند تميم ، وربما أتت عليّ ساعة ونزع ضرس أسهل عليّ من قول بيت " [٣].

ومثل ذلك القول صدر من ذي الرمة [٤] الشاعر المشهور بقوله : " ومن شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني ، ومنه ما أجهدتُ نفسي فيه ، ومنه ما خُنتُ به جُنُونًا " [٥].

---

(١) الفرزدق : لقب لُقّب به لجهامة وجهه وغلظه ، واسمه أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة الشاعر المشهور صاحب جرير وله ديوان شعر صغير ، يعد من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام توفي بالبصرة سنة عشر ومائة . الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١١١ – طبع عالم الكتب ، والأغاني للأصفهاني ٩ / ٣٦٧ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٥ / ٧٠ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١ / ٢١٨ .

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ .

(٣) الشعر والشعراء – ابن قتيبة ص ٨١ – طبع عالم الكتب .

(٤) ذو الرمة أموي مجيد توفي سنة ١١٧ هـ – الشعر والشعراء ص ١٢٦

(٥) الأغاني للأصفهاني ١٨ / ٣٩ – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .

وليس ذلك فحسب ، بل إن الشاعر المطبوع يكون قادرًا على الإجادة في فن شعري دون الآخر فنجد من الشعراء " من يجود في المدح دون الهجاء ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ ، ومنهم من يُغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل ، أو وصف الحرب أو وصف الروض أو وصف الخمر ، والغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتناوله الكلام ، ولذا ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب ، ومثل ذلك يختلف في الخُطب والرسائل وسائر أجناس الكلام " [١].

وكان الفرزدق زير نساء وصاحب غزل وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب ، وكان جرير عن النساء عفيفًا وكان مع ذلك أحسن الناس تشبيبًا .

وهكذا نرى تأثير الطبع في تناول الشعراء للفنون المتقاربة في أشكالها " نجد في الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيدة أصلا ، ومنهم من ينظم القصيد ولكن يُقصّر فيه مهما تكلفه أو عمله ، ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانًا عجيبًا ، ومنهم من يوجد بضد ذلك " [٢].

وإذا تركنا الحديث – قليلاً – عن درجة اختلاف الشعراء في الإجادة في فنون الشعر وانتقلنا إلى الحديث عن اختلافهم في درجة الصياغة الأسلوبية في شعرهم ، وإنْ جمعتهم بيئة واحدة وظروف متقاربة ، وجدنا مرجع ذلك إلى الطبع ، فطباع البشر مختلفة ، ويستتبع ذلك الاختلاف اختلاف في الأسلوب يظهر في نظم كل شاعر .

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٨٧ ، ٨٨ – طبع دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩١ م

(٢) المرجع السابق ص ٨٨ .

ولقد نسب إلى ذلك نقادنا منذ زمن بعيد ، لذا نرى صاحب الوساطة يربط بين الطبع وصاحبه وما ركب فيه من طبع سيئ أو حسن وتركيب حسناني جميل أو قبيح ، يقول القاضي الجرجاني عن الشعر والشعراء : " وقد كان القوم يختلفون في ذلك ، ويتباين فيه أحوالهم ، فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ أحدهم ، ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، ورداءة الكلام بقدر رداءة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهرًا في أهل زمانك ، وترى الجافي الخلف منهم كزّ الألفاظ معقد الكلام وعر الخطاب حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صورته ونغمته ، وفي جرْسه ولهجته . ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك [1] .

لذلك كان الشاعر التام الموهبة هو المتصرف المجيد في جميع فنون الشعر على اختلاف موضوعاتها وتوجهاتها ، وإلى غير ذلك ذهب ابن رشيق في قوله : " يكون متصرفًا في أنواع الشعر من جدّ وهزل ، وحلو وجزل ، وأنْ لا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء ، ولا في المدح أنفذ منه في الهجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتًا في

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ص ١٧ ، ١٨ - ت محمد أبو الفضل ، و علي البجاوي - طبع الحلبي .

سائرها ؛ فإنه متى كان كذلك حُكِمَ له بالتقدم وجاز قصب السبق ، كما جازها بشار بن برد [1] .

وأبو نواس [2] بعده » [3] .

إذن فالطبع بمعنى الموهبة هو الذي يؤدي إلى حسن التصرف في فنون القول المختلفة مع الإجادة فيه ، وهذا أمر لا ينكره أحد من النقاد على اختلاف العصور .

---

(١) بشار : هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء ، المتوفى الشاعر المشهور ، بصري قدم بغداد وهو في أول مرتبة الطبقين من الشعراء المحدثين فيه ، وكانت وفاته سنة سبع ، وقيل ثمان وستون ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة . وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٦٤ ، و الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٣ / ١٢٧ ، و الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٧٧ .

(٢) أبو نواس : هو أبو علي الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس الحكمي ، الشاعر المشهور ، ولد بالبصرة ونشأ بها ثم صار إلى بغداد وهو في الطبقة الأولى من المولدين ، له ديوان شعر اعتنى به جماعة من الفضلاء . ولد في سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل سنة ست وثلاثين ومائة ، وتوفي في سنة خمس وقيل ست وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد . انظر ترجمته في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ٢٥ / ٩ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٨ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١ / ٣٣٨ .

(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق ٢ / ١١٢ .

المبحث الثانى : علامات الشاعر المطبوع

يرى ابن قتيبة أنّ : " المطبوع من الشعراء مَنْ سمح بالشعر ، واقتدر على القوافى ، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته ، وبنيت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر " (١) .

فيما يتعلق بالطبع هنا فإنّ ابن قتيبة ربما لم يكن على صواب حين اتخذ مما ذكره علامة للمطبوع وغير المطبوع ، أى علامة لقوة الطبع وضعفه ، ولكنى أرى أن الطبع لا يمنع من أن يجد صاحب الأسلوب السهل معاناة فى أثناء نظمه وصياغته لأسلوبه فتجويد العمل الأدبى يتطلب الروية والأناة ومزيدًا من الوقت والجهد حتى يظهر فى لوحة فنية فائقة الجمال .

ونحن نعلم أن زهير بن أبى سلمى كان يلقب بصاحب الحوليات لأنه كان يمكث حولا فى مراجعة القصيدة وتهذيبها .

وها هو ذا حازم القرطاجنى يرى غير ما ارتآه ابن قتيبة حيث يقول : " إن ذا القوة القوية على النظم قد يوجد أبطأ فى القول من ذى القوة التى ليست متناهية ..... وسبب ذلك أن صاحب الطبع القوى يهدف إلى إبراز عمله الفنى فى صورة رائعة وذلك إذا قصد إبعاد الغاية فى الرونق والتنقيح ، فتطلب المعانى الشريفة ونزع لها المنازع اللطيفة .... وجهد فى إبرازها من العبارات فى صور بديعة ، فيحتاج فى كل ذلك إلى تنقيب وفحص ، ويحتاج معهما فى قليل القول إلى كثير الزمان " (٢) .

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٠ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى - تقديم وتحقيق / محمد الحبيب بن الخوجه ص ٢١١ - دار الكتب الشرقية .

إذن فليست كثرة النتاج دليلا على النبوغ والإجادة فى النظم ، كما أن القلة ليست دليلا على القصور .

وبالتالى ليس الارتجال والسرعة علامة على الطبع والإجادة فى النظم

كما أن عدم الارتجال ليس دليلا على القصور والعجز .

والطبع يحتاج من صاحبه إلى أشياء تسانده منها : أن يتحرى الأديب من الأوقات ما يروقه بحيث تستجيب نفسه للعطاء الأدبى ؛ وتحرى الأوقات التى يكون الأديب فيها صافى النفس ، خالى البال من منغصات الحياة أمر نبه إليه " بشر بن المعتمر " فى صحيفته التى يوجه فيها الأديب بقوله : " خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرًا ، وأشرف حالا ، وأحسن فى الأسماع ، وأحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأحلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أنّ ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاندة ، ومهما أعطاك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدًا ، أو خفيفا على اللسان سهلاً ، كما خرج من ينبوعه ، ونجم من معدنه " (١) .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١ / ١٣٥ ، ١٣٦ - طبع الخانجى - الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، والعقد الفريد لابن عبد ربه - تحقيق / عبد المجيد الترجيى - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ / ١٩٨٧ م ، والصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ١٣٤ ، والعمدة ابن رشيق ١ / ٣٤١ - ٣٤٤ - ط الخانجى - على اختلاف فى بعض اللفظ .

والذى رآه ابن المعتز يؤكده أبو تمام فى وصيته للبحترى : " يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم أن العادة جرت فى الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شئ أو حفظه فى وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وفسحتها من النوم وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب " (١) .

ويرى الجاحظ أن القليل الذى جاء عن الطبع خير من الكثير الذى صدر عن صاحبه بعيدا عن الطبع وذلك فى قوله : " الذى تجود به الطبيعة ، وتعطيه النفس سهلا رهوا ، مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمدُ أمرًا .... من كثير خرج بالكد والعلاج " (٢) .

يتضح لنا مما تقدم أن الطبع يريد من صاحبه أن يختار الوقت المناسب لذات نفسه الأمر الذى تقتضى منه استجابة نفسية تجعله يقبل على نظمه بنشاط واقتدار فتصدر عنه صياغة جيدة فى جمل سهلة معبرة بصدق عما يجيش فى نفس صاحبها من حُب وكره فى لوحات فنية رائعة ، وعلى العكس من ذلك إذا أقدم الأديب على إنشاء أدبه فى وقت تعكر فيه مزاجه ، واضطربت فيه نفسه ، فماذا تكون النتيجة ؟ .

النتيجة تكون - وفق ما جاءت به المقدمة - صياغة قلقة فى جمل غير مترابطة مع عدم توافق فى الصور وعدم إقبال عليه من المتلقى .

ويضيف " المرزوقى " إلى ما سبق عاملا آخر وهو ترك النفس وسجيتها فى أثناء تنفيذ الفن الأدبى وعدم إلزامها بشئ إذ يقول : " متى رفض التكلف والتعمل ، وخلى

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢ / ٧٧٣ - طبع الخانجى .

(٢) البيان والتبين للجاحظ ٣ / ٢٢٨ .

الطبع المهذب بالرواية ، المدرب فى الدراسة لاختياره ، فاسترسل غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل إليه ، أدى من لطافة المعنى ، وحلاوة اللفظ ما يكون صفوًا بلا كدر ، وعفوًا بلا جهد ، وذلك هو الذى يسمى المطبوع " (١) .

هذه هى ثمرة الطبع ، حلاوة فى اللفظ ، ولطافة فى المعنى ، وقبول فى النفس .

وأضيف إلى ما تقدم عاملا مهما ألا وهو " صدق الشعور " بمعنى أن يعبر الشاعر عما يجده فى نفسه ويؤمن به ، فإن كانت العواطف صادقة جاء التعبير صادقا مطبوعا ينساب فى النفس انسيابا وهذا الأمر لحظه الباقلانى وكتب عنه الآتى : " ألا ترى أن الشعر فى الغزل إذا صدر عن محب كان أرق وأحسن ، وإذا صدر عن متعمِّل ، وحصل عن متصنع نادى على نفسه بالمداجاة ، وأخبر عن خبيئه بالمراءاة .. " .

" والشئ إذا صدر من أهله .... سلم فى نفسه .... وإذا صدر من متكلف ، وبدا من متصنع ، بان أثر الغرابة عليه ، وظهرت مخايل الاستيحاش فيه ، وعرف شمائل التحير منه " (٢) .

إذن فخلاصة القول تكمن فى أن الشاعر المطبوع يحتاج إلى عدة أمور تؤدى إلى نجاح نظمه فيما سبق ذكره ، وهى فى إيجاز كالآتى : أنْ يتخيّر الأديب الوقت المناسب لمزاجه الشخصى والأدبى ، وأن يترك نفسه وشأنها دون إلزامها بشئ ، وأن يكون معبرا عما يجيش فى صدره بصدق وأمانة .

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١ / ١٢ - ضبع دار الجيل - بيروت .

(٢) إعجاز القرآن للباقلانى ص ٣٠٣ - تعليق د / حفاجى - طبع دار الجيل .

المبحث الثالث : صفات الشعر المطبوع :

جاء فى الشعر والشعراء أن من أمارات الشعر المطبوع أن يكون عليه " رونق الطبع ووشى العزيزة " (١) .

وهذا أمر لا يتعلق بالصناعة اللفظية ، وإنما يتعلق بذوق القارئ والمتلقى لهذا الشعر وبقدر ما لديه من رهافة حس وقوة إدراك سيتبين له ما لهذا الشعر من أثر فى النفس يجعله يحكم له بالطبع أو لا ، فإذا تغلغل فى نفسه واستولى على لبه بما له من قوة تأثير فى العاطفة والوجدان حكم له بالطبع ، وإذا كان الأمر غير ذلك حكم عليه بالتكلف ، ويؤكد هذا ما قاله القاضى الجرجانى فى أنّ الكلام " منثوره ومنظومه .... تجد منه المحكم الوثيق ، والجزل القوى ، والمصنع المحكم ، والمنمق الموشح ، قد هذّب كل التهذيب ، وتقف غاية التثقيف وجهد فيه الفكر ، وأتعب لأجله الخاطر — حتى احتمى عن آفاته من العائب ، واحتجز بصحته عن المطاعن ، ثم تجد لفؤادك عنه نبوة ، وترى بينا وبين ضميرك فجوة " (٢) .

ويرى أبو هلال العسكرى أنّ من صفات شعر المطبوع أنه قريب المأخذ ويفسر ذلك بقوله : " أن تأخذ عفو الخاطر ، وتتناول صفو الهاجس ، ولا تكدّ فكرك ، ولا تتعب نفسك " (٣) .

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٢ .

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٤١٢ .

(٣) الصناعتين فى الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى – ت د / مفيد قميحة ص ٦١ – طبع دار الكتب العلمية .

أما ابن رشيق فيرى أن من صفات الشعر المطبوع " البديهة " وذلك فى قوله : " أعجب ما كان البديهة من أبى تمام " (١)

ويبين ذلك بقوله : " لأنه رجل متصنع ، لا يحب أن يكون هذا فى طبعه " (٢) .

هذا ومن سمات الشعر المطبوع " السهولة والوضوح " ، وهذه السمة هى التى جعلت الآمدى يُعد البحترى شاعرًا مطبوعًا ؛ لأنه " كان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ، ووحشى الكلام " (٣) .

هذا ، وقد استشهد " القاضى الجرجانى " بنماذج للبحترى فيها دلالة واضحة على السهولة والوضوح بما تُحدثُهُ من أثر عظيم فى نفس المتلقى يجعلها تنساب فى النفس انسيابا بل تفعل فيها فعل السحر فى النفوس ، ومن هذه النماذج قوله :

أَلامُ عَلَى هَواكَ وَلَيسَ عَدلاً	∴	إِذا أَحبَبتُ مِثلَكَ أَن أَلاما
أَعِدني فيكَ نَظرَةَ مُستَهيبٍ	∴	تُوَخّي الأَجرَ أَو كَرَةَ الأَثاما
تَرى كَبِداً مُحَرَّقَةً وَعَيناً	∴	مُؤَرِّقَةً وَقَلباً مُستَهاما
تَناءَت دارُ عَلوَةَ بَعدَ قُربٍ	∴	فَهَل رَكبٌ يُبَلِّغُها السَلاما
وَجَدَّدَ طَيفُها عَتباً عَلَينا	∴	فَما يَعتادُنا إِلا لِماما
وَرُبَّتَ لَيلَةٍ قَد بِتُّ أَسقي	∴	بِعَينَيها وَكَفَّيها المُداما
قَطَعنا اللَيلَ لَثماً وَاعتِناقاً	∴	وَأَفنَيناهُ ضَمّاً وَالتِزاما (١)

---

(١) العمدة فى صناعة الشعر ونقده – لابن رشيق القيروانى – ت / النبوى عبد الواحد شعلان ١ / ٣٠٨ – ٣٠٩ طبع الخانجى – طبعة أولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٩ .

(٣) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى – تحقيق / السيد صقر ١ / ٤ – طبع دار المعارف بمصر

ثم يشيد بالنماذج الشعرية التى قدمها للدلالة على السهولة والوضوح فيها ومدى تأثير الطبع السليم فى صياغتها ، وفى أثناء ذلك يدعونا إلى تحكيم النفس فى هذه الآثار الشعرية ، نرى ذلك فى قوله : " ثم انظر هل تجد معنى مبتذلا ولفظا مشتهرا مستعملا ! وهل ترى صنعة وإبداعا أو تدقيقا أو إغرابا ! ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك من الطرب إذا سمعته ، وتذكر صورة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك ، ومصورة تلقاء ناظرك " (٢) .

إذن فتأثير هذا الشعر الواضح فى أسلوبه أن يكون ذا أثر واضح فى نفس المتلقى بما يحدثه من ارتياح وطرب يعم النفس بهجة وتذكرًا للتجارب الماضية ، ويكون الأثر النفسى على العكس من ذلك إذا كان الشعر متكلفا فإنه كما يقول القاضى الجرجانى " مع التكلف المقت ، وللنفس مع التصنع نفرة وفى مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق ، وإخلاق الديباجة ، وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن" (٣) .

ثم ينتقل " الجرجانى " إلى الحديث عن شعر أبى تمام حيث ذكر ما مفاده أنّ التكلف بطلب البديع وغموض المعانى ووعورة الألفاظ أدى إلى النفرة من شعره ، وعدم تقبل النفس والقلب له ، اللهم " إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد الخاطر ، والحمل على القريحة ،

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى ص ٢٥ ، ٢٦ - وردت الأبيات فى ديوان البحترى ١ / ٣١ - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(٢) السابق ص ٢٧ .

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ١٩ .

..... وتلك حال لا تمش فيها النفس للاستماع بحسن ، أو الالتذاذ بمستظرف ؛ وهذه جريرة التكلف " (١) .

ثم يبين لنا " الجرجانى " أنّ أبا تمام يختلف شعره فى القصيدة الواحدة تراه يقول :

لو جازَ سُلطانُ القُنوعِ وَحُكْمُهُ ∴ فِي الخَلقِ ما كانَ القليلُ قليلا
مَن كانَ مَرعى عَزمِهِ وَهُمومِهِ ∴ رَوضُ الأَمانِي لَم يَزَل مَهزولا (٢)

فهو كما تراه يعرض عليك هذا الديباج الخسروانى ، والوشى المنمنم ، حتى يقول :

لِلّهِ دَرُّكِ أَيُّ مَعبَرِ قَفرَةٍ ∴ لا يوحِشُ ابنَ البيضَةِ الإِجفيلا (٣)
أَوَ ما تَراها ما تَراها هِزَّةً ∴ تَشَأى العُيونَ تَعجرُفاً وَتَمَيلا (٤)

ثم يعقب على ذلك بقوله : " فنعص عليك تلك اللذة ، وأحدث فى نشاطك فترة " (٥)

وقد يُضَمِّن الشاعر قصيدته " كلمة " تكون موافقة للسمع متواءمة مع جارتها ، مستساغة فى السمع ، ترغب فيها النفس ، وقد ذكر مثل ذلك صاحب دلائل الإعجاز حين رأى أنّ الكلمة تروقك وتؤنسك فى موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر ، كلفظ الأخدع فى بيت الحماسة :

---

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) البيتان فى ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ٣ / ٦ - طبع دار المعارف بمصر

(٣) خرج إلى صفة الناقة بغير ذريعة إلى الخروج - وابن البيضة : الظليم والإجفيل : الكثير الاجفال ، والبيت فى ديوان أبى تمام ٣ / ٦٨

(٤) التعجرف : النشاط فى السير ، التمايل : نوع منه ، تشأى : تسبق ، والبيت فى ديوان أبى تمام ٣ / ٦٩ .

(٥) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٢٣ .

تلفتُ نحو الحيِّ حتى وجدتني ∴ وجعتُ من الإصغاءِ ليتاً وأخدعا

وبيت البحترى :

وإني وإنْ بلغتني شرف الغنى ∴ وأعتقت من رق المطامع أخدعي

فإنَّ لها فى هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم إنك تأملها فى بيت أبي تمام :

يا دهرُ قوِّم من أخدعيك فقد ∴ أضجعتَ هذا الأنام من خرقك[1]

" فتجد لها من الثقل على النفس من التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة "[2].

وهذه السهولة والوضوح يقتضيان من الشاعر أنْ يتخيَّر ألفاظه ، وأن يحسن انتظامها ، وفى ذلك يقول أبو هلال العسكرى : " تخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التمام للكلام ... فإن أمكن مع ذلك أن يكون منظوما من حروف سهلة المخارج ، كان أحسن له وأوعى للقلوب إليه "[3].

وهنا يتطلب أيضا عدم استعمال الألفاظ الغريبة التى هجرها الاستعمال ، وعدم استعمال الألفاظ المعقدة التى يصعب النطق بها ، وينفر منها السمع ومما يؤكد صحة

---

(١) خرق : بالضم العجف وكذلك الخمق والحمق وضم الراء للشعر ، ويريدون بتقويم الأخدعين إزالة الكبر والعجب لأنه يقولون فى الكبر الغالى شديد الأخدعين . الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى للآمدى - تحقيق / السيد أحمد صقر ١ / ٢٦١ - طبع دار المعارف - الطبعة الرابعة ، والوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٤٠ ، والبيت فى ديوان أبي تمام بشرح التبريزى ٢ / ٤٠٥ - طبع دار المعارف بمصر

(٢) الإعجاز فى علم المعانى - عبد القاهر الجرجانى ص ٤٩ - طبع المكتبة التوفيقية بالقاهرة الطبعة الثانية - بدون تاريخ

(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكرى ص ١٥٩ - الطبعة العلمية - مقيد فيحة

ذلك أنَّ الآمدى حكم للبحترى بأنه كان مطبوعًا فى شعره ؛ إذ كان يقول عنه : " كان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ، ووحشى الكلام "[1].

وكما نطلب من الشاعر أن تكون ألفاظه واضحة ، كذلك نطلب منه أن تكون معانيه واضحة لا غموض فيها ولا تعمية وأن تكون مطابقة لما يقتضيه المقام وهذا ما أوصى به " بشر بن المعتمر " فى صحيفته ، فقد جاء فيها يبغى : " أن يكون لفظك رشيقًا عذبا ، وفخمًا سهلاً ، ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا ، وقريبًا معروفًا : إما عند الخاصة إنْ كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إنْ كنت للعامة أردت ، والمعنى ليس بشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس ينقص بأن يكون من معانى العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ... وبقدر وضوح المعنى وصواب الإشارة إليه ، وقلة اللفظ عليه ، مع جزالة فى اللفظ وسلامة ، وحسن الطبع والسجية ، يكون إظهار المتكلم ، وبقدر إشراك طبع المستمع فى فهم معنى قائله ، يكون استحسانه له ، وبقدر الرغبة فى المعنى يكون الإصغاء إليه ، وبقدر الإصغاء يكون نفاذ المعنى فى القلب ، وبقدر نفاذه يكون اهتزاز المستمع ، وبقدر اهتزازه يكون طربه ، وبقدر طربه يكون عجبه ، وبقدر عجبه يكون ارتياحه ، وبقدر ارتياحه يكون سخاؤه ، فهذه صفة الكلام الجيد البالغ التام "[2].

وأشار الآمدى إلى مثل ذلك فى وجوب مطابقة الاستعارات لما استعيرت له وذلك فى قوله : " وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ... لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هى إصابة المعنى وإدراك الغرض ، بألفاظ سهلة وعذبة ، مستعملة سليمة من التكلف "[3].

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى للآمدى ١ / ٤ - تحقيق / السيد أحمد صقر - طبع دار المعارف - الطبعة الرابعة .

(٢) العمدة لابن رشيق ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣

(٣) الموازنة للآمدى ١ / ٤٢٣ ، ٤٢٤ - تحقيق / السيد احمد صقر - دار المعارف - الطبعة الرابعة

إذًا فالشاعر المطبوع ألفاظه سهلة ، ومعانيه واضحة ، وصوره البيانية مطابقة لما استعرت له ، وأفكاره لا التواء فى عرضها بحيث يفهمها الخاصة والعامة فمثلا " أبو تمام " يوسم بالطبع حين يكون كذلك ، أعنى وضوح الألفاظ مع المعانى والأفكار والصور البيانية ، وذلك فى مثل قوله :

وَما اشتَبَهَت طُرقُ المَجدِ إلا ∴ هُداكَ لقِبلَةِ المَعروفِ هادِ
وَما سافَرتُ في الآفاقِ إلا ∴ وَمِن حُدوانَةَ راحِلَتي وَزادي
مُقيمُ الظَنِّ عِندَكَ وَالأَماني ∴ وَإِن قَلِقَت رِكابي في البِلادِ (١)

وعندما يتجه فى شعره إلى تعمية المعانى وسلوك الالتواء والتعقيد يخرج عن الطبع إلى التكلف الممقوت ؛ كما فى قوله متغزلا :

قَسَمتْ لي وقاسمتني بسَاطا ∴ نَ مِنَ السِحرِ مقلتا عَبدوس
فالقَسيمُ القَسامُ عَن لحظاتٍ ∴ مِنهما يختلِسنَ حَبَّ النفوسِ
فالذي قاسَمَت بلحظٍ إذا اللَيـ ∴ ـلُ تَغطّى مِنَ الكَرى المَنفوسِ (٢)

" ولست أدرى - يشهد الله - كيف تصور له أن يتغزل ويتسبب ، وأنّى حبيب يستعطف بالفلسفة ! ، وكيف يتسع قلب عبدوس هذا ؛ وهو غلام غرّ ، وحدث مترف لاستحراج العويص ، واظهار المعمّى ! " (٣)

(*) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ١ / ٣٧٤ ، والوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى ص ٦٧ .

(*) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٦٨ .

(*) المرجع السابق : الصفحة نفسها .

هذا ومن متطلبات الصناعة الجيدة اتحاد أجزاء الكلام وترابطها وتلاحمها بحيث تأتى أجزاء الكلام متوالم بعضها مع البعض الآخر متماسك تماما كالبناء يشد بعضه بعضا ، يوضح ذلك الإمام عبد القاهر بقوله : " أن تتحد أجزاء الكلام ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن يحتاج فى الجملة إلى أن تضعها فى النفس وضعًا واحدا ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هنا فى حال ما يضع بيساره هناك ، نعم وفى حال ما يتصور مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين " (١)

فحالة الأديب فى صياغته حالة البانى فى بنائه يراعى السياق وإيحاءاته كما يراعى البانى بناءه ويشد استقامته ، وقد ساق الإمام عبد القاهر بعض الشواهد الدالة على ذلك منها قول البحترى :

إذا ما نَهى الناهي فَلَجَّ بِيَ الهَوى

أَصاخَت إلى الواشي فَلَجَّ بِها الهَجرُ (٢)

وقول حسان بن ثابت - رضى الله عنه :

قَومٌ إذا حارَبوا ضَروا عَدُوَّهُمُ

أو حاوَلوا النَفعَ في أشياعِهِم نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تِلكَ مِنهُم غَيرُ مُحدَثَةٍ

إنَّ الخَلائِقَ حَقّاً شَرُّها البِدَعُ (٣)

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٧٨ .

(٢) المرجع السابق : الصفحة نفسها .

(٣) دلائل الإعجاز ص ٧٨ ، وديوان حسان بن ثابت - تحقيق د / سيد حنفى ص ٢٣٨ - طبع دار المعارف ، ويروى " سجية تلك منهم "

ويعقب الإمام عبد القاهر على الأبيات السابقة بقوله : " واذ قد عرفت هذا النمط من الكلام وهو ما تجد أجزاءه حتى يوضع وضعًا واحدًا فاعلم أنه النمط العالى والباب الأعظم والذى لا ترى سلطان المزية عظيم فى شىء كعظمه فيه " [1]

وقد مثل الإمام عبد القاهر لما جاء متكلف الصياغة معقد النظم ، ومن هذه الأمثلة قول أبى تمام :

ثانيهِ في كَبِدِ السَماءِ وَلَم يَكُن ∴ لاثنين ثانٍ إذ هُما في الغارِ [2]

وقوله :

يَدي لِمَن شاءَ رَهنٌ لَم يَذُق جُرَعاً
مِن راحَتَيكَ ذَوى ما الصابُ وَالعَسَلُ [3]

ويعقب الإمام عبد القاهر على ذلك بقوله : " إن الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب ، وصنع فى تقديم أو تأخير ، أو حذف وإضمار أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه " [4]

---

(١) السابق ص ٧٩ .
(٢) السابق ص ٧١ ، والموازنة للآمدى ١ / ٣٠ - طبع دار المعارف ، والبيت فى ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ١ / ٢٠٧ .
(٣) دلائل الإعجاز ص ٧١ ، ٧٢ .
(٤) دلائل الإعجاز ص ٧٢ .

فالتعقيد - هنا - أساء إلى هذا النظم وحال بينه وبين المتلقى فى الفهم الصحيح لما يحتاج من كد ذهن وإعمال فكر بغية الوصول إلى ما يقصده الناظم فى نظمه

هذا ، ويعسر الشعر المطبوع بسهولة القافية ، وعن آفية القافية يقول ابن رشيق : " القافية شريكة الوزن فى الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية " [1]

وسهولة القافية تتحقق عندما يتشاكل اللفظ معناه ويأتى الكلام مستوفى الأجزاء فيأتى القافية متممة لما قبلها مؤكدة له ، وقد عبر المرزوقى فى مقدمة ديوان الحماسة عن ذلك فى مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا مفارقة بينهما ، فهو يمنح اللفظ والمعنى فى حال تشاكلهما القدرة على استدعاء القافية التى يجب أن تكون كالموعود المنتظر يشوقها المعنى نحفه واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قلقة فى مقرها مجتلبة لمستعن عنها [2]

ويتضح لنا طاعنا الشاعر أن يجعل القوافى قواعد لبناء الشعر حتى يساق إليها ما قبلها السياق طبعيا غير مستكره [3] ، وقد عد ابن قتيبة القدرة على استدلال القافية

---

(١) العمدة فى صناعة الشعر ونقده ١ / ٢٤٣ .
(٢) شرح ديوان الحماسة لأبى تمام - طبعة المرزوقى ١ / ٢٧ .
(٣) عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ص ٣٦ بتصرف .

علامة من علامات الطبع عند الشاعر ، وذلك فى قوله " مَنْ سمع بالشعر وافتضح على القوافى ، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته "[1] .

وهذا أمر يحتاج إلى خبرة طويلة والذوق الأدبى الرفيع الذى يمكن صاحبه من تمييز محاسن الكلام .

ومن صفات الشعر المطبوع سلامة الأوزان من الاضطراب .

والوزن صفة أساسية فى الشعر ولذا ورد فى تعريف الشعر : " أنه قول موزون مقفى يدل على معنى "[2] ، ولولا الوزن والقافية ما وجدنا فرقا بين النثر والنظم ، ولذا قال ابن رشيق : " الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة "[3] .

وسلامة الوزن تتحقق مع الشاعر عندما يكون منفعلا مع عاطفته صادقا فى شعوره واضحًا فى تفكيره ، وعندها سيهديه شعوره إلى الوزن المناسب حتى يفرغ فيه تعبيره دون إملاء من أحد ، ويمضى فى صياغته حتى يتم قصيدته .

وقد عدّ المرزوقى " لذيذ الوزن " جزءًا من عمود الشعر ؛ وعلل لذلك بقوله : " لأن لذيذه يُطرب الطبع لإيقاعه ، ويعازجه بصفائه ، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه ، واعتدال نظومه "[4] .

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٢ .

(٢) نقد الشعر – قدامة بن جعفر ص ١٧ – تحقيق / كمال مصطفى – طبع الخانجى – طبعة ثالثة .

(٣) العمدة لابن رشيق ١ / ٢١٨ .

(٤) شرح ديوان الحماسة " المقدمة " ص ١٠ .

نفهم من هذا أنّ لذة الوزن تأتى تبعا للذة الإيقاع ، كما أن لذة الإيقاع تأتى تبعًا لتجاوب الطبع معه واختلاطه به ، لذا رأى سيدنا حسان بن ثابت – رضى الله عنه – أنه ينبغى للشاعر أن يتغنى بشعره ، ويترنم به ، ويتسمع إليه ، قبل أن يخرجه للناس ، ليتأكد من جمال النغم ، ورقة الإيقاع ، وقد أشار إلى هذا فى قوله :

تَغَنَّ فِي كُلِّ شِعرٍ أنتَ قائِلُهُ ∴ إنَّ الغِناءَ لِهَذا الشِّعرِ مِضمارُ[1]

نخلص من هذا أن شعر الطبع يصل إلى القلب فى سهولة ويسر وتجد النفس عند سماعه راحة وبهجة ، وعند ذلك يستطيع القارئ لهذا الشعر بما منحه الله تعالى من الذوق الرفيع ورهافة الحس أن يحكم لهذا الشعر بالطبع والبعد عن التكلف

ثانيا : التكلف والصنعة :

هل التكلف هو الصنعة ؟

للإجابة عن هذا السؤال ، لابد من تعريف التكلف ومظاهره ، قبل تبين الفرق بينه وبين الصنعة ، فما هو التكلف ؟

التكلف :

جاء فى لسان العرب : " الكلف : الولوع بالشئ مع شغل قلب ومشقة وكلفة تكليفا أى أمره بما يشق عليه ، وتكلفت الشئ : تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك "[2] .

---

(١) مقدمة ديوان الحماسة للمرزوقى " المقدمة " ص ٩١ ، ولم اعثر على هذا البيت فى ديوان حسان – رضى الله عنه –

(٢) لسان العرب لابن منظور – مادة " كلف " ١٢ / ١٤٠ – طبع دار إحياء التراث العربى – بيروت

وفى القاموس المحيط : " التكليف : الأمر بما يشق عليك "

ومن هذا الأصل اللغوى (كلف) الذى تدور معانيه حول ، المشقة والعناء والجهد

كان اللفظ الاصطلاحى " تكلف " فالتكلف فى الاصطلاح النقدى هو : طلب الشئ

بصعوبة وعناء وتفكر ، والبعد عن الجرى وراء السجية والعادة

أو كما عرفه صاحب الصناعتين بقوله : " التكلف طلب الشئ بصعوبة للجهد

يطرأ على طلبه بالسهولة " (١)

وجعله قدامة مرادفا للتعمل والعناء ، فقال عن سوء استخدام

الترصيع : " ..... فإن ذلك إذا كان ، دل على تعمل وأبان عن تكلف " (٢) .

أما صاحب البرهان فجعله بمعنى الخروج عن السجية والعادة والبعد عن السهولة ،

يقول : " وأما سهولة القول ، وقلة التكلف ، فكقول الشاعر :

خير المذاهب فى الحاجات أنجحها

وأضيق الأمر أدناه من الفرج

فهذا لفظ سهل قريب قد جرى صاحبه فيه على سجيته وعادته ، فإذا جئت إلى

قول آخر :

وما قتله فى الناس إلا ملكا

أبو أمه حى أبوه يقاربه

وجدته قد تكلف تكلفا غير خفى على سامعه ، فالقلوب له آبية ،

والآذان عنه نابية " (٣)

---

(١) الصناعتين للعسكرى ص ٥٥ .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٤٧ .

(٣) البرهان فى وجوه البيان لابن وهب ص ١٧٩ ، ١٨٠ - تحقيق د / أحمد مطلوب ، و د / خديجة الحديثى - ط أولى - مطبعة العانى - بغداد ١٩٦٧ م .

ويروى عن الأصمعى أنه كان يقول : " زهير بن أبى سلمى والحطيئة وأشباههما

من فحول الشعراء ، وكذلك كل مَنْ يجوِّد فى جميع شعره ، ويقف عند كل بيت قاله ، وأعاد

فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة ؛ لأن الشعر قد استعبدهم

واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم فى باب التكلف وأصحاب الصنعة ، ولولا هذا لذهبوا

مذهب المطبوعين " (١) .

ولهذا حكم الأصمعى على بشار بأنه مطبوع لأنه لا يراجع شعره بالتنقيح والتثقيف ،

ولا يكلف طبعه شيئا متعذرًا ، وشبه مروان بن أبى حفصة بزهير والحطيئة وذكر سبب

ذلك بأنه متكلف (٢) .

وابن قتيبة كان يقرن التكلف بالمشقة فى قول الشعر والبعد عن السلاسة والسهولة ،

ونستطيع أن نلحظ ذلك فى قوله : " والمتكلف - وإن كان جيد الشعر محكمه -

ليس به خفاء على ذوى العلوم لتبينهم ما نزل بصاحبه فيه من طول التفكر وشدة

العناء ورشح الجبين ... " (٣) .

وفى كلامه السابق يعترف " للمتكلف من الشعر " بالجودة والإحكام ، بينما يرى

نقادنا القدامى من أمثال الآمدى ، والجرجانى ، والعسكرى ، وابن رشيق وغيرهم أن

التكلف عيب فى الشعر والصنعة مذهب فيه ولها أنصارها .

ثم يتبع ذلك بذكر مجموعة من الضوابط التى من خلالها يستطيع

أهل العلم من ذوى البصائر والتمييز ، تمييز الشعر المتكلف من حيث

---

(١) البيان والتبين ٢ / ٢٥ .

(٢) الأغانى للأصفهانى ٣ / ١٩٤ .

(٣) الشعر والشعراء ص ١١ .

الاتفاق بـ " كثرة الضرورات وخلال ما بالمعانى حاجة إليه وإلجاء ما بالمعانى إلى عنه " (١)

ثم يستشهد ببعض المداوح الشعرية التى وضع أصحابها فى التكلف من مثل قول العرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتاً أو مجلف

فوضع آخر البيت ضرورة وأتعب أهل الإعراب فى طلب العلة ، فقالوا وأكثروا وما بأنوا بشئ يرتضى (٢)

ومن هذه الضرورات ما يُعرف بمد المقصور وقصر الممدود ، وتسهيل المهموز ، وصرف الممنوع من الصرف ، ومنع المصروف ، واستخدام الترخيم فى غير النداء ، وذكر اللفظ من أجل الاتفاق فى القافية ، لا من أجل استدعاء المعنى له ، ثم ذكر ما فيه دلالة على تكلف الشاعر فى شعره ، وذلك فى قوله : " وتبين التكلف فى الشعر بأن ترى البيت مقرونا بغير جاره ومضموما إلى غير إلفه ولذلك قال بعضهم لآخر أنا أشعر منك ، قال : وبم ذاك ؟ قال : لأنى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه " (٣) .

ويقول عن التكلف – مرة ثانية – : " فالمتكلف هو الذى قوّم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة ، وكان الأصمعى

---

(١) المرجع السابق ص ١١ .
(٢) المرجع السابق ص ١١ – ١٢ .
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٢ ، والبيان والتبين للجاحظ ١ / ٢٨ .

يقول : زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين " (١)

يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواشيهما وخواطرهما (٢)

وبعد ... فمن خلال العرض السابق لآراء ابن قتيبة فى الطبع والتكلف قد يفهم بعض المتخصصين أن ابن قتيبة متناقض مع نفسه ، إذ أفهمت عبارته أنّ التكلف هو الطرف المقابل للطبع ، وأنه ممجوج بقدر ما يدل على التصنع والخروج على عفو الخاطر ، بينما يمدح الطبع بقدر ما ينبئ عن السليقة والشاعرية ، وهذا الفهم مقبول ويتمشى مع الاتجاه العام للذوق العربى منذ الجاهلية ، ولكن التناقض يأتى من أنه يدخل فى العبارة ما يدل على أن بعض الشعر المتكلف جيد ومحكم ، وذلك فى قوله : " المتكلف من الشعر ، وإن كان جيدًا مُحكمًا ، فليس به خفاء على ذوى العلم ، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعانى حاجة إليه ، وزيادة ما بالمعانى غنى عنه " (٣) .

---

(١) الشعر والشعراء ص ٧ ، ٨ .
(٢) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق ١ / ٢١٥ – ط الخانجى
(٣) الشعر والشعراء ص ١١ .

وفى قوله : "والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى قافيته قافيته ، وبنيت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر "(١)

ويقول عن التكلف - صورة ثانية - " فالتكلف هو الذى قوّم شعره بالتثقيف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كجوهر والخطيئة "(٢).

ولا شك أن فهم هذه النصوص على ظاهرها يستلزم عد نفر من فحول الشعراء فى زمرة المتكلفين ، وهم الذين عُرفوا بتنقيح أشعارهم ، ومعلوم أن تنقيح الشعر - مهما يتجاوز الحد وتستبد الصنعة فيه بالشعور - شئ آخر غير التكلف ، ثم كيف يمكن أن يعد من الشعر المحكم هذا النوع من الشعر الذى غالى صاحبه فى سبيل قوله شدة العناية ورشح الجبين ، ولجأ إلى الضرورات من حذف مخل ، وحشو لا غناء فيه ؟

ويزول القول بالتناقض إذا توسعنا قليلا فى فهم مدلولات المصطلحات لدى ناقد مبكر مثل ابن قتيبة ؛ فقلة المصطلح النقدى لديه جعلته يستعمل لفظتى الطبع والتكلف بمدلولات مختلفة .

فالتكلف حين يكون وصفًا للشاعر مختلف عن التكلف حين يكون وصفا للشعر ، فشاعر متكلف تعنى أنه صانع ، وشاعر مطبوع تؤدى ما تعنيه اليوم بعفوية القول

---

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٧ - ٨ .

تدفقه ، ويعنى أن الطبع يشمل القول على البداهة مثلما يشمل الصنعة الخفية التى لا تظهر على وجه الأثر الفنى .

أما التكلف حين يكون وصفًا للشعر فيعنى زيادة الصنعة ، وليس كذلك شعر المحدثين أمثال زهير والحطيئة ، وما ذكره ابن قتيبة من أن بعض المتكلف من الشعر قد يكون جيدًا محكما لا يظن أنه قد عنى ما تكثر فيه الضرورات وما فيه حذف للضرورة إتيانا لما يمكن الاستغناء عنه ، فمثل هذا النوع من الشعر لا يمكن أن يوجد فيه الجيد المحكم لأنه أصلا مخل بأبسط مقتضيات البلاغة .

إذن فالتفسير المتعدد للمصطلح الواحد فى لغة ابن قتيبة يرفع احتمال التناقض فى كلامه ، وينفى القول باسترذال شعر المجودين من أمثال زهير والحطيئة ، فإنا لا نستبعد أيضا أنّ ابن قتيبة أراد بعبارته الإيحاء بأن شعر هؤلاء المجودين ينطوى على قدر من التكلف يجعله فى مرتبة أقل من شعر المطبوعين .

بمعنى أنه كان فى هذه المسألة يصدر عن رأى الأصمعى صاحب عبارة " عبيد الشعر " فاستعمل كلمة (المتكلف) بمعنى المتصنع والمحتال للإجادة ، فى مقابل كلمة (المطبوع) نعتًا للشاعر يصدر عن طبيعة سهلة تواتيه بالقول كلما أراد .

وفى النفس العربية شئ كان وما يزال ضد هذا النوع من الشعر الذى يعمل ولا يقال ، ويصدر عن العقل والإرادة قبل أن يكون صادرًا عن الطبع والنفس على سجيتها ، يجعلها تفضل عليه الشعر الذى يشتمل على الجيد والردئ والمستوى وغير المستوى ، وتراه أدل على عفوية الخاطر وغزارة البديهة .

ومن خلال هذا التصور الذى يجعل الشاعر المطبوع فى أعلى الدرجات من سُلم القيمة التعبيرية ويقبل فى الوقت نفسه وجود الشعر المستوى إلى جانب غير المستوى فى نتاجه ، أمكن افتراض وجود الشاعر المطبوع الذى يتكلف القول أحيانا ويكره طبعه

على القول فى ظل ظروف متاونة ، كضعف الدافع أو طروء موقف نفسى عنيف كا
والخوف أو إهمال أو الحال الصالحة لقول الشعر .

وفى مثل هذه الأحوال يتوقف أو الطبع لدى الشاعر ، ويأتى قوله دون المس
المعهود ، فى نتاجه ، ومن ثم يكون التفاوت فى الشعر الذى لاحظه القدماء عند ح
بن ثابت – رضى الله عنه – على سبيل المثال وفسّروه باختلاف الموضوع ، كما يس
الأصمعى " الشعر نكد يقوى فى الشر " أو باختلاف القائل ، كما هو عند ابن سلا
أضيف إلى الشاعر ما لم يقل ، أى بنظرية الانتحال " ولكن ابن قتيبة يرجعه إلى العوا
النفسية ، ويفسر فى ضوئها التفاوت الملحوظ فى شعر الكميت ، عندما يمدح بنى أمي
بالراى والهوى ، وشعره فى بنى أمية أجود منه فى الطالبين ، " ولا أرى علة ذلك إلا
أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة " [1] .

وهكذا يمكن القول بأن ابن قتيبة – الذى بدأ حديثه عن الطبع والتكلف تقليد
متهما بالتناقض فى أقواله – انتهى به الحديث إلى تناول مبحث الدوافع النفسية ذا
الأثر فى نتاج الشعر ، والتى وصفها بأنها دواعٍ للشعر تحث البطئ وتبعث المتكلف .

وخلاصة القول : فإن ضوابط معرفة التكلف عند ابن قتيبة تختلف عن تلك الـ
قدمها من جاء بعده من النقاد ، فإن ابن قتيبة يرى أن الذى يكشف التكلف هو
الخلل فى معانى وألفاظ القصيدة وعدم التماسك بين أبياتها .

بينما يرى من جاء بعده من النقاد أن التكلف هو المبالغة فى الصنعة ، وبناء عل
فإن كل متكلف مصنوع وليس كل مصنوع متكلفا ، وهو ما جعل صنعة الأوائل م
عن التكلف .

---

(١) الشعر والشعراء ص ٨

وما إن نصل إلى ابن رشيق حتى نراه يوضح هذا اللبس أو هذه التسمية فيقول : "
ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذى وضع أولا ، وعليه المدار ،
والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين لكن وقع فيه
هذا النوع الذى سمّوه " صنعة " من غير قصد ، ولا تعمل ، لكن بطباع القوم عفوا
فاستحسنوه ، ومالوا إليه بعض الميل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع
"زهير " الحوليات على وجه التنقيح ، والتثقيف ، يصنع القصيدة ، ثم يكرر نظره فيها ،
خوفا من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها ساعة أو ليلة [1] .

ويمكن أن يعرف الشعر المتكلف بملاحظة تلك المبالغة الشديدة فى الصنعة ، ويمكن
تحديدها فى عدة أمور منها :

مجاوزة حد الاعتدال :

فالمحسنات البديعية زينة لفظية يلجأ إليها الأديب لتجميل عبارته فى نظمه ونثره
وهذا شئ جميل لكن المبالغة فى استخدامها والجرى وراءها يخرجها عن حد الاعتدال ،
ويجعلها غير مقبولة فى السمع ويأباها الذوق ، ومن هذه الألوان البديعية الترصيع ،
والترصيع هو : أن يكون حشو البيت مسجوعا .. وأصله من قولهم : رصعت العقد ،
إذا فصلته ... ومثاله قول تأبط شرًا [2] :

---

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ٢٠٨ – تحقيق / النبوى شعلان – طبع الخانجى – القاهرة .

(٢) تأبط شرًا : هو ثابت بن جابر بن سفيان ، وتأبط شرا لقب لُقّبَ به ؛ كان جريئا شاعرًا فاتكًا ، له أشعار يصف فيها بطولاته وأحداث حياته ؛ مات مقتولا فى الجاهلية .والبيت فى المفضليات يروى هكذا :

خَمَّالُ أَلْوِيَةٍ شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ ∴ قَوَّالُ مُحْكَمَةٍ جَوَّابُ آفَاقِ

حَمَّالِ أَلْوِيَةٍ شَدَّادِ أَنْدِيَةٍ ∴ هَبَّاطِ أَوْدِيَةٍ جَوَّالِ آفَاقِ

والترصيع محمود ومقبول ، ولكن الشئ إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده ، فإذا تواتر واتصل فى أبيات القصيدة لم يكن محمودًا ودل على تكلف الشاعر وتعمله ، وفى هذا الشأن يقول أبو هلال العسكرى : " وقد ارتكب قوم من القدماء الموالاة بين أبيات كثيرة من هذا الجنس فظهر فيها أثر التكلف ، وبان عليها سمة التعسف ، وسلم بعضها ولم يسلم بعض " (١) .

فمن ذلك ما روى أنه للخنساء (٢) :

حامى الحقيقة محمود الخليقة مِـ ∴ ـهدى الطريقة نفّاعٌ وضرّار (٣)

فعّالُ ساميةٍ وزّادُ طامية ∴ للمجد ناميةٌ نجيبةُ أسفارُ

هذا البيت ردئ لتبرئ بعض ألفاظه من بعض ..... ثم قالت :

جوابُ قاصيةٍ جزّازُ ناصيةٍ ∴ عقّادُ ألويةٍ للخيل جرّارُ

آخر هذا البيت لا يجرى مع ما قبله ... وإذا قسته بأوله وجدته فاترًا باردًا .... ثم قالت

حلو حلاوته فصل مقالته ∴ فيّاض خلائقه للعظم جبّارُ

القصائد للعبى ص ١٤ - طبع ونشر مكتبة الثقافة الدينية - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٤١٦ ، ٤١٧ .

(٢) الخنساء : هى تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد ، والخنساء لقب غلب عليها ، شاعرة سمع النابغة شعرها فى سوق عكاظ فشهد لها ، لها ديوان شعر أكثره فى الرثاء المشهور بالفخر ، أسلمت مع قومها ، وقتل أولادها الأربعة فى وقعة القادسية سنة ١٦ هـ . انظر ترجمتها فى : الشعر والشعراء ص ٧٢ ، والأغانى ٥ / ٧٢ ، والعقد الفريد ٣ / ٢٢٢ ، وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٤١٣ .

(٣) وهذا البيت موجود فى العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ / ٢٢٤ - تحقيق د / عبد المجيد الترحينى - طبع الدار العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

وهذا مثل ما قبله .. " (١)

هذا ينصح ابن رشيق الشاعر الحاذق : " إذا غلب عليه حب التصنع ، أن يترك للطبع مجالا يتسع فيه " (٢)

ويرى الإمام عبد القاهر أنّ إيراد المحسنات البديعية فى الكلام كما يتطلبها المعنى مع عدم الإلحاح فى مجيئها ، إذ الإلحاح عليها يخرجها عن الجمال إلى التكلف والاستكراه .

حيث يقول فى هذا المعنى : " إنك لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه ، وساق نحوه " واحسنه " ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه .... أن ترسل المعانى على سجيتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها .. فأما أنْ تضع فى نفسك أنه لابد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذى أنت منه بعَرَض (٣) الاستكراه ، وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم " (٤) .

وشاعر مثل أبى تمام شغف بالمحسنات البديعية والجرى وراءها ، الأمر الذى أدى به إلى التعقيد فى بعض أشعاره ، وكما يقول الإمام عبد القاهر إنه " إذا أسلم نفسه للتكلف ، ويرى أنه إنْ مرّ على اسم موضع يحتاج إلى ذكره ، أو يتصل بقصة يذكرها

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٤١٩ ، ولم أعثر على هذه الأبيات فى ديوان الخنساء .

(٢) العمدة لابن رشيق ١ / ٢١٢ - تحقيق / شعلان - طبع الخانجى .

(٣) العرض : الأمر الذى يجعلك عُرضة لشئ بعينه ، أى معروضا له ، أو مهيأ له .

(٤) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر ص ١٠ - ١٤ - قدم له وعلق عليه / محمود محمد شاكر - طبع ونشر المدنى بالقاهرة .

فى شعره ، من دون أن يشق منه تجيئ ، أو يعمل فيه بديعًا ، فقد باء بسآتم ، وأخسل

بفرض جنى ، من نحو قوله :

فسرت بقسوان غسين السدين والشسرت

بالأشعرين غصونُ الشرك فاصطلما[1]

وهناك بعض الأمثلة التى أوردها الآمدى من شعر أبى تمام :

إنّ مسن عسقٌ والذيسه لمنلعسو

نّ ومسن عسقٌ مسزلاً بسالعقيقِ [2]

وقوله :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمتْ

سلام سلمى ومهما أورق السّلم [3]

الشاعر بالوحوف اللفظى فيكون بذلك أفرغ شعره من مضمونه واتجه به إلى الشكل م

أجل بيان قدرته على اجتلاب ألوان البديع فى شعره ، فيفقد عندها مصداقيته من حي

هو شاعر يفترض أنه يعبر فى شعره عما تجيش به نفسه ومشاعره فى أسلوب واضح

اللواء فيه .

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٦ ، والبيت فى ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى - تحقيق / محمد ع

جزء ٣ / ١٢٩ - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الرابعة

(٢) الديوان أبى تمام ٢ / ٣٤١ .

(٣) الموازنة للآمدى ١ / ٢٨٦ .

احتذاء الأقدمين :

هذا ، ومن أدلة التكلف احتذاء الأقدمين فى ألفاظهم ، وهذا الاحتذاء من مساوئه

أنه يوقع الشاعر فى استعمال ألفاظ هجرها الاستعمال نظرًا لتغير الظروف والأحوال مما

يؤدى إلى التكلف والتوعر فى الألفاظ فتأتى الأشعار متكلفة تمجها الآذان

وتنفر منها الأذواق .

وفى هذا الشأن يقول صاحب الوساطة : " فإن رام أحدهم الإغراب والاقتداء بمن

مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف ، وأتم تصنع ؛ ومع

التكلف المقت ، وللنفس عن التصنُّع نفرة ، وفى مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب

الرونق ، وإخلاق الديباجة " ثم تحدث عن شعر أبى تمام وأبرز ما فيه من تكلف ، وذلك

فى قوله [1] :

فكأنما هى فى السماع جنادل ∴ وكأنما هى فى القلوب كواكب

ثم عقب بقوله : " فتعسف ما أمكن ، وتغلغل فى التصعب كيف قدر ، فصار هذا

الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد الخاطر

، والحمل على القريحة ؛ فإن ظفر به فبذلك من بعد العناء والمشقة ، وحين حسرة الإعياء

، وأوهن قوته الكلال ، وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن ، أو الالتذاذ

بمستطرف ، وهذه جريرة التكلف " [2] .

---

(١) الوساطة ص ١٩ ، والبيت فى ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ١ / ١٧٤ ، ويروى : وكأنما

هى فى العيون كواكب .

(٢) الوساطة ص ١٩ .

وهناك شاهد تكلف فيه الشاعر واستعمل بعض الألفاظ الغريبة الوحشية التى يأ

السمع والذوق واللسان .

من ذلك قول أبى تمام :

قد قُلتُ لمّا اطلَخَمَّ الأمـرُ وانبَعَثَـت
غشواءُ تالِيَةً غُبْـساً دَهاريسـا [1]

فهذه الألفاظ (اطلخم – غُبسًا – دهاريسًا) صارت غريبة فى مجتمع أبى تمام ، هُجر استعمالها ، وصارت قبيحة مستنفرة ، يأباها السمع والذوق واللسان ؛ ومن هـ

نرى الدكتور / طه أبو كريشة يقرر أنّ الإلحاح على طلب الغريب يدل على التكل

حيث يقول : " فإن الإلحاح عليه يدل على تكلف الأديب ، لأن معرفة الألفاظ الغ

لا يعرفها على سبيل الطبع – كالبدو والأعراب – وإنما يعرفها الأديب المتحضر بعـ

بحث وتنقيب عنها " [2] .

الغموض فى المعانى :

وهذا دليل آخر من أدلة التكلف وهو الغموض فى المعانى ، وقـد أصـاب هـ

الغموض كثيرًا من شعر أبى تمام ، ومَرَدُّ ذلك إلى عدة أمور منها ميل أبى تمام إلى الفل

واتساع ثقافته والخروج عن المألوف باستعمال غريب الألفاظ وتركيب الصورة بـ

---

(١) اطلخم : تعنى : أظلم وتراكم . لسان العرب – مادة " طلخم " ٨ / ١٢ ،
غُبسًا : الغبسة لون بين السواد والصفرة . مادة " غبس " لسان العرب ٢٠ / ١٠ ، دهـ
القارس " الشرس " . لسان العرب مادة " دهرس " ٤ / ٤٢٦ . ديوان أبى تمام بشرح
الخطيب التبريزى ٢ / ٢٥٦ – طبع دار المعارف بمصر .

(٢) أصول النقد الأدبى – د / طه مصطفى أبو كريشة ص ٢٧٢ – طبع دار نوبار للطباعة –
١٩٩٦ م .

يصعب معه فهم المعانى فيطبع الكلام بطابع اللبس والغموض مما يؤدى إلى سوء الفهـم وإجهاد الفكر دون طائل .

يقول صاحب الوساطة عن معانى أبى تمام : " اجتلب المعـانى الغامضـة وقصـد الأغراض الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقيل ، وأرصد لها الأفكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكـد الخاطر والحمل على القريحة ، فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة وحين حسـره الإعياء وأوهن قوته الكلال ، وتلك حال لا تمش فيها النفس للاسـتماع بحَسَـن أو الالتذاذ بمستظرف وهذه جريرة التكلف " [1] .

وقد استشهد صاحب الوساطة على غموض المعانى عند أبى تمام بقوله :

لـو كـانَ كَلْفَهـا عُبَيـدٌ حاجَـةً
يَومـاً لَرَكّـى شَـدْقَماً وَجَـديلا [2]

ثم عقب عليـه قـائلاً : " وأظنـه لـو وجـد لفظـةً أسـقط مـن (زكّـى) وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها " [3] .

وقال عنه المرزبانى : " ما أخس قوله (لزكّى شدقمًا وجديلا) وما معنى تزنية ناقة أو جمل أو بهيمة ؟ " [4] .

---

(١) الوساطة ص ٢٩ .

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى عبد العزيز الجرجانى ص ٦٧ ، البت فى وصف المطايا ، وعبيد : هو عبيد الراعى ، قال شارح ديوان أبى تمام : " شدقم وجديل " فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر اللخمى ؛ يضرب بهما المثل . ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ٣ / ٢٩ .

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٦٧ .

(٤) الموشح للمرزبانى – تحقيق / على محمد البجاوى ص ٣٨٢ – طبع دار الفكر العربى

وقد علق التبريزى على لفظة زئى قائلاً : " ولا شك أن لفظة (زئى) تصدم الأسماع فتعثر جوانب الصورة فى البيت ، وذلك لتعارضها مع العرف الاجتماعى والعادات والأخلاق ، وهو ربما كان يصور واقعا لا يستحيل حدوثه ، فالشتم يسالترى يجرى على ألسنة العامة ، ولكنه من ألفاظ الجهال" [١].

وقد عاب الآمدى على أبى تمام قوله :

فأجرى لها الإشفاقُ دمعاً مُوَرَّداً
مِنَ الدَّمِ يَجري فَوقَ خدٍّ مُوَرَّدِ [٢]

قال الآمدى : " لفظ حسن ومعنى ليست له براعة " .

والجيد فى مثل هذا قول البحترى :

لو تَرانا عِندَ الوَداعِ وقَد وَرَّدَ
سَكبُ الدُّموعِ وَردَ الخُدودِ [٣]

ويرى أن الدموع إذا مرت على الخدود وردتها ، وهذا معنى صحيح مشاهد ... " [٤]

وهذا فالبحترى عند الآمدى أحسن من أبى تمام لأن طريقته أن يخبر عن الشئ على ما هو فيقضى على كل بديع واستعارة إذا اعتمدها

ومن صور أبى تمام الاستعارية الغريبة فى تركيبها ومعناها قوله :

شابَ رَأسي وَما رَأيتُ مَشيبَ الـ
ـرَأسِ إلا مِن فَضلِ شَيبِ الفُؤادِ [٥]

---

(١) شرح التبريزى ٣ / ٧٠ " بتصرف " .
(٢) ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ٢ / ٢٢ .
(٣) ديوان البحترى ٢ / ٧٦٨ .
(٤) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ٢ / ٣٢ .
(٥) ديوان أبى تمام بشرح التبريزى ١ / ٣٥٧ .

وقد علّق الدكتور / عبد الله بن حمد بن محارب – على عبارة " شيب الفؤاد " قائلاً : فعبارة " شيب الفؤاد " تركيب غير عادى وهو غير مشاهد... فمثل هذه الصور فيها اجتراء على القديم ، وعبث بالمأثور ، وعده النقاد تكلفًا وغموضًا " [١].

ومن خلال ما تقدم تبين لنا أن التكلف عيب وإعنات وبُعد عن السهولة والوضوح ، لذلك كان الكلام كما يقول العسكرى : " إذا خرج فى غير تكلف وكدّ وشدة تفكر وتعمّل كان سلسا سهلاً ، وكان له ماء ورواء ورقراق وعليه فرند لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه "[٢].

والتكلف – من خلال ما تقدم – لا يمكن أن يكون مذهبًا ، أو أن يدعو إليه النقاد ، أو أن يكون مقياسًا من مقاييس الجودة، إذ هو تلك المبالغة الشديدة فى الصنعة التى تخرج إلى حد المحظور ، فلعل كون الصنعة أساسًا له هو ما جعله يلتبس على كثير من النقاد ، إذ أن المطبوع فى مأمن من التكلف ، لأن التكلف لا يكون إلا بمجاهدة الطبع ، ومغالبة القريحة " [٣].

ومما زاده التباسًا على المتأمل أن أنصار الطبع من نقادنا القدامى من أمثال ابن قتيبة والأصمعى والآمدى لم يحققوا الفرق الدقيق والخط الفاصل بين الصنعة وبين التكلف .

---

(١) أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا – د عبد الله بن حمد بن محارب ص ١١٧ – طبع الخانجى .
(٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ١٨٧ ، ١٨٨ .
(٣) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى ١ / ٢٦٠ " بتصرف " .

المبحث الرابع الصنعة

الصنعة عمل الصانع [1] ، ورجل صنيع : ماهر [2] ، وصنعه يصنعه صنعًا ، فهو مصنوع وصنيع عمله [3]

ومعنى مادة " صنع " تكاد تدور حول مدلولات العمل والمهارة والحذق ، ومهما اختلفت هذه المعاني في معجمات اللغة فإنها تتفق في مجموعها على النظر في قصيدة بالتنقيح والتثقيف وهو مذهب عُرِفَ به العصر الجاهلي واشتهر به زهير والحطيئة بعده .

ونقادنا القدامى يستعملون كلمة " الصنعة " مرادفة لكلمة " التكلف " نرى ذلك واضحًا في كلام ابن رشيق ، حيث قال : " إنّ الكلام الذي تلوح على صفحاته آثار التكلف ، هو المصنوع " [4]

وكذلك الحاتمي يقول : " وإذا صدر عن متكلف وبدا من متصنع دان أثر الغرابة والتصنع " [5]

وقد رأينا من قبل أن ابن قتيبة يقول عن المتكلف من الشعراء : " هو الذي قلق شعره بالتكلف ، ونقحه بطول التثقيف ، وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة

---

(١) القاموس المحيط - مادة " صنع " ٣ / ٥٤ .

(٢) أساس البلاغة - مادة " صنع " ص ٣٦٢ .

(٣) اللسان - مادة " صنع " ٨ / ٢٠٨ .

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١ / ١٢ .

(٥) انظر الموازنة للآمدي ص ٣٠٣ - ٣٠٥ .

وقد سبقه في هذا الرأي الأصمعي إذ روي عنه أنه كان يقول : " زهير ابن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، وكذلك كل من نَجَوَّد في جميع شعره ، ويقف عند كل بيت قاله ، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة لأن الشعر قد استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ، ولولا هذا لذهبوا مذهب المطبوعين " [1] .

ومن خلال ما تقدم نؤكد لنا أن النقاد الأوائل يرادفون بين كلمتي " الصنعة " و " التكلف " ولا يفرقون بينهما ، ولكنا نرى أنّ الصنعة أمرٌ مرغوب ، والتكلف عيب تنفر منه الأذواق الحسنة ذلك لأن الصنعة تجويد وتهذيب وتنقيح للعمل الأدبي بحيث يخرج في صورة متكاملة ترضاها النفوس .

أما التكلف فهو مجاهدة وتعمّل وشين يلحق بالعمل الأدبي وصاحبه لأنه تكلف ما لا ترضاه الذوق والطبع السليم وخلل عمله من الزخرف والزينة فوق المعتاد في عمل مثله

غير أنّ المتأخرين من النقاد فقد كانت لهم رؤية مختلفة عن ذلك ؛ إذ كانوا يعتقدون أن البديع هو سر الجودة في القصيدة ، اعتمدوا هذا المذهب الجديد عند مراجعتهم لصالدهم ، فكان تثقيفهم لها وتنقيحهم إياها إنما يتم على أساس هذه النزعة الجديدة التي كاد مفهوم الصنعة يختلط بمفهوم البديع ، وقد بيّن ابن رشيق الفرق بين الصنعتين ، صنعة القدماء وصنعة المحدثين ، فقال : " والمصنوع وإنْ وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين ، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سُمّوه صنعة من غير قصد ولا تعمّل ، لكن بطباع القوم عفوًا ، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل ، بعد أن عرفوا

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٧ - ٨ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٢٥ .

وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف : يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفًا من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه فتياظ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنًى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافى ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض "[1].

وتنقيح العمل الأدبى أمر مرغوب فيه ، يقول ابن خلدون : " على الشاعر إذا يراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ، ولا يضنُّ به على الترك إذا لم يبلغ الإجادة ، فإن الإنسان مفتون بشعره إذ هو بنات فكره ، واختراع قريحته "[2].

والآن نستطيع أن نقول بوضوح وجلاء تامَّيْن إن ابن رشيق قد جلَّى الفرق واضح بين صنعتين :

صنعة الأوائل : التى كانت تقوم على تنقيح العمل الأدبى وتهذيبه بحيث يصل الناس مستقيمًا لا اعوجاج فيه ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء زهير والحطيئة ومن شابههما وهذه صنعة معتمدة لا غبار عليها ، بينما الذى ينشئ قصيدته ولا يراجعها هو المطبوع يؤكد ذلك ما ورد فى إعجاز القرآن : " قال أبو عبيدة : سمعت أبا عمرو يقول : زا

---

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ٢٠٨ – طبع الخانجى .

(٢) مقدمة ابن خلدون – محمد بن عبد الرحمن خلدون ص ٦٦١ – طبع المكتبة التوفيقية بمصر .

والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر لأنهم نقحوه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين "[1] ، ومثل زهير والحطيئة فى ذلك جماعة من الشعراء ، منهم النابغة وطفيل الغنوى والنمر بن تولب[2].

أما النوع الثانى من الصنعة : فهو صنعة المولدين التى أصلها التكلف والتعمل نتيجة الإغراق فى الجرى وراء المحسنات البديعية والزينة اللفظية ، ومن روَّاد هذا الاتجاه من الشعراء بشار وأبى نواس ومسلم بن الوليد ومَنْ قبلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعُرف فى زمانهم ، ثم إنَّ الطائى تفرَّع فيه ، وأكثر منه ، فأحسن فى بعض ذلك ، وأساء فى بعضه ، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف[3].

ويعرف صاحب الصناعتين الصنعة بقوله : " هى النقصان عن غاية الجودة والقصور عن حد الإحسان "[4] ، وهو يستدل على ذلك بأن النابغة لما دخل يثرب وغنى بقوله :

أمِن آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتَدِ[5]

ومن هذه القصيدة :

عَصَمٌ[6] يَكادُ منَ اللَّطافَةِ يُعقَدُ[7]

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ص ١٧٤ – طبع دار الجيل ، والبيان والتبيين ٢ / ١٣ .

(٢) العمدة لابن رشيق ١ / ٢١٥ .

(٣) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى ١ / ١٨ " بتصرف " .

(٤) الصناعتين لأبو هلال العسكرى ص ٥٥ .

(*) تكملة البيت : عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوَّدِ

(٦) العصم : نبات أحمر يصبغ به .

(٧) صدر البيت : بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كأنَّ بنانَهُ

وعرف ابن قتيبة [1] عرج وقال بقول ... وعلق بكرانه في بردته في شعر له مطلعه

قفا عرجا بها وانا أخو العرج [2]

وذكر ابن الأعرابي هذا القول فقال : أبو دهبل يقصدنا عن غاية الفواحش ... وهو هذا يتعرج فيذكر الديار الدارسة في قصائد الصاحبات ... قال " كان ابن الأعرابي يأمر بتأديب صبيان ما يقرأ في مجلسه ... قال فأنشده رجل يوما أرجوزة أبي نخيلة في وصف الصحاب على أفا لبعض العرب :

مبتدئا باسم الإله الأجمل ... أبيات ذات خطرات تخطر

مستوفزا بين خلية وخمص ... تمضي وأيسر بعضها لا تحصي

قفت بها الصحاب حول الأرض

فقال ابن الأعرابي : أكبوها ... فقيل كبوها قيل له إنما خلب بن أوس ... فقال عرق عرق [3] لا يجرم إن ذكر الصحبة فيها بئس ... وقال الفرزدق تصحفا ، أي معايب وناقصة عن حد الإحسان " [4]

هذا ويمكن تعريف الصنعة بأنها المراجعة والتثقيف والتنقيح سواء أكان هذا التنقيح يعتمد مذاهب العرب القديمة في الشعر أو كان يعتمد البديع وأساليبه في التزيين والترويق .

---

(١) العبء في " يعقد " بالرفع ، وهو ما يسمى بالإقواء وهو اختلاف حركة الروي .

(٢) الصاحبين ص ٥٦ ، والخصائص لابن جني ١ / ٢١٢ .

(٣) السارية : السحابة تأتي ليلا ، والخلة : خير الإبل ، والخمص : ما خلح وأمر من النبات ، وقيل قولهم : الخلة خير الإبل ، والخمص لاكلها . ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٤ / ٥١٨ .

(٤) التحريق : التعريق .

(٥) الصاحبين لأبي هلال العسكري ص ٥٦ .

الأصفهاني أن أصحاب الصنعة حسد الجاحظ أبي عثمان الجاحظ ، فقيل فضل ... غير الشعر الجيد الفحل [1] ، إلى القرن الرابع الهجري كانوا يعتقدون أن مذاهبهم أفضل من مذاهب الطبع والحس ، لذا فإنه إذا كان انهيار الطبع يؤدي الصنعة بالضرورة ، فهو ما رأينا ابن قتيبة يقول به ، وكذلك الجاحظ الذي يرى أن المطبوعين قد تحسنوا في ... اب التكلف وأصحاب الصنعة " [2] ، فيسوي بذلك بين المصطنعين ، فيكون أصحاب الصنعة قد وصفوا شعر الطبع بأنه شعر المكدود ، وهو ما يفسره الراغب الأصفهاني بقوله : " ويقال شعر مكدود ، إذا كان جيدا لم يتفق " [3]

وفي القاموس : " خشبه كنصره ... الشعر قاله من غير تروٍ وتعمل فيه " [4] ، وجاء في لسان العرب : " خشب الشعر يخشبه خشبا رآه بغير كما يجيئه ، ولم يتأنق فيه ولا تعمل له ، وهو يخشب الكلام والعمل إذا لم يحكمه ولم يجوده " [5]

وأصل هذا المصطلح كما يبدو من " خشب القوس يخشبها خشبا ، أعملها عملها الأول ... والخشب : السهم حين يبرى البرى الأول " [6]

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق ١ / ٣٢٢ .

(٢) البيان والتبين للجاحظ ٢ / ١٣ .

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني ١ / ٤٨ .

(٤) القاموس المحيط – مادة " خشب " ١ / ٦٣ .

(٥) اللسان – مادة " خشب " ١ / ٣٥٣ .

(٦) اللسان – مادة " خشب " ١ / ٣٥٣ .

فمعانى هذه المادة تدور كلها حول التثقف والسماحة وعدم التسوق والخشونة والرداءة وعدم إحكام العمل [١] .

فكأنهم قاسوا الشعر على ذلك السيف أو السهم أو القوس الذى صنع ويحتاج الى إعادة نظر من أجل إحكامه وتجويده ، فالشعر المطبوع مخشوب ، أما المصنوع فهو منقح قد أعيد فيه النظر ، وحذف منه الردئ والساقط ، لذلك قالوا – كما جاء فى أساس البلاغة : " كان الفرزدق ينقح الشعر ، وكان جرير يخشب ، وكان خشب جرير خيراً من تنقيح الفرزدق " [٢] .

يفهم من هذا أنّ الصنعة هى : التنقيح والتثقيف والمعاودة والمراجعة والتحكيك فإذا وصلنا إلى القرن الرابع ، فهى المعاودة على أساس مذهب البديع ، أغلب الأحيان منها مما جعل مفهوم البديع ومفهوم الصنعة يكادان يصبحان شيئًا واحدًا ، لذا نجد الباقلانى يتحدث عن التجنيس والمطابق فإذا هما من وجوه الصنعة ، يقول : " وأما البحترى فإنه لا يرى فى التجنيس ما يراه أبو تمام ، ويقل التصنع له ، فإذا وقع فى كلامه كان الأكثر حسنًا رشيقًا ، وظريفًا جيلاً ، وتصنعه للمطابق كثيرٌ حسن ، وتعمقه فى وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة ، والرغبة فى السلامة " [٣] .

---

(١) اللسان ١ / ٣٥١ – ٣٥٥

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى – مادة " خشب " ص ١٦٣ .

(٣) إعجاز القرآن للباقلانى ص ١٦٢ – طبع دار الجيل بيروت .

أما سوء الصنعة فهو سوء استخدام البديع ، لذلك يشرح العسكرى قول جعفر بن حميد : " بريا من سوء الصنعة " [١] بقوله : " فسوء الصنعة ينصرف على وجوه ، منها سوء التقسيم وفساد التفسير ، وقبح الاستعارة والتطبيق ، وفساد النسج والسبك " [٢] وهذا المفهوم – أى مفهوم الصنعة على أساس البديع – هو الذى استقرت عليه الأجيال اللاحقة ، لذلك كان أصحاب الصنعة عند ابن رشيق مثلا هم أنصار مذهب البديع ، أى أبو تمام وعبد الله بن المعتز ومسلم بن الوليد ، بل البحترى أيضا ، وهو يقول عن مسلم بانه " أول من تكلف البديع من المولدين ، وأخذ نفسه بالصنعة وكثر منها " [٣] ، ويجمع بين هذين المصطلحين بوضوح فى قوله عن ابن المعتز " ... فانتهى علم البديع والصنعة إليه وختم به " [٤] .

إذن فقد أصبحت الصنعة فى البديع ، فإذا تبين هذا وعلمنا تصور أهل القرن الرابع لهذه المصطلحات ، أمكننا الآن أن نطرح هذا السؤال بوضوح : هل كانت هناك خصومة بين أنصار الطبع وبين أنصار الصنعة ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فما هى مظاهرها ؟ والأهم من كل هذا أين يكمن أثر الجردة فى هذا المجال : هل فى الطبع أم فى الصنعة ؟ ! وإذا كان فى الصنعة : ففى أى أنواع الصنعة إذن ؟

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٥٥ .

(٢) السابق : الصفحة نفسها .

(٣) العمدة فى صناعة الشعر ونقده ١ / ٢١١ – طبع الخانجى .

(٤) السابق : نفس الصفحة .

المبحث الخامس : الجودة في إطار الخصومة بين المذهبين

يتفق الرواة واللغويون على أن القدماء أكثر طبعا من المحدثين الذين يعتمدون على التكلف ، ويعد هذا الوصف عندهم حيثما كلما تعرضوا للموازنة بين شعر القدماء وبين شعر المحدثين .

جاء في الوساطة : " حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال أنشدت الأصمعي :

هل إلى نظرةٍ إليكِ سبيلُ ∴ تروي منها الصَّدى ويشفى الغليلُ
إن قلبي منك يكثرُ عندي ∴ وكثيرٌ ممن تُحبُّ القليلُ

فقال : والله هذا الديباج الخسرواني ، لمن تنشدني ؟ ، فقلت إنما للباغيهما ، فقال لا جرم والله ، إنّ أثر التكلف فيهما ظاهر " [1] .

وهكذا فإن الاتهام الماثل عند الأصمعي وطبقته هو الاتهام بالتكلف ، أما إذا أعجب أحدهم بشعر فإنه يصفه بأنه شعر مطبوع ، ومن ذلك أن أبا رياش القيسي ، وكان معروفا بالتحامل على المحدثين والغض من شأن أبي تمام والبحتري خاصة ، لما أنشد يوما بضعة أبيات للبحتري ، وأعجبته ، قال : " أحسن والله من هذا البدوي المطبوع " [2] .

وفي مواجهة هذا التيار كان أنصار الصنعة والبديع ، يؤكدون أن أكثر الشعر في هم المحدثون ، بل إن ابن المعتز جعل بشار بن برد وهو رائد مذهب البديع باعتراف

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٥ .

(٢) السابق ص ٥٢ .

المعتز نفسه [1] ، وقالوا : إن أول من فتق البديع من المحدثين بشار بن برد وابن هرمة ، أما الخاطر فيكفي بأن نقول " والمطبوعون على الشعر من الوافدين : بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عيينة " [2] ، إلا أنه بعد ذلك يشير إلى طبعهم كلهم [3] ، وهو الرأي الذي نقله عبد الله الصولي في " الأوراق " [4] عما بين حدة ابن المعتز ، فنظر البديع الأول ، في مواجهته لهذا التكلف والبعد عن الطبع

وواضح أن للطبع – كما بينا ذلك – سلامة وسهولة ووضوحا واعتمادا على الحواس وعفو الخاطر ، أي أنه اعتماد على القلب ، بينما الصنعة تثقيف ومراجعة وتبديع وإعمال للفكر أي أن مصدر الصنعة وعمادها " العقل " فإذا علمنا أن العصر بوجه كانت تتجاذبه نزعتان : نزعة عقلية من جهة ، ونزعة نقلية من جهة أخرى ، أمكننا أن نعرف من هم أنصار الطبع ، ومن هم أنصار الصنعة ؟ ! فقد كان أصحاب النزعة النقلية الذين يعدون تقاليد العرب في المعاني قدوة ، والذين تمنعهم قدراتهم من إدراك المعاني الفلسفية والفكرية العويصة ، بحكم ثقافتهم أو بحكم بيئتهم ، أو الذين أصبحوا بحكم تقاليد مهنتهم ميالين إلى الوضوح ، هم أنصار الطبع ، وهؤلاء كما يقول الآمدي

---

(١) البديع لابن المعتز ص ١ .

(٢) العمدة لابن رشيق ١ / ٢١١ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٥٠ .

(٤) السابق : نفس الصفحة .

(٥) الأوراق للصولي ص ١٢ .

وأما القاضى الجرجانى فإنه عند تعرضه لهذا الموضوع ذهب إلى أن طرق الصنـ
الحديثة المتضمنة فى البديع ، غير مقصرة لسبب جودة الشعر - لذلك يرى أن البديع
يصلح مقياسًا من مقاييس الجودة ولا هذه الصنعة الحديثة ، ودليله على ذلك أن الذو
السليم يحكم فى كثير من الأحيان بغير ما تدل عليه هذه الأدوات النقدية الجديدة
يقول : " وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان ، ح
إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا فى النادر الفذ ، ومتى جمعت ذلك
قرنت إليه قول امرئ القيس [1] :

نَصُدُّ وَنُبدي عَن أَسيلٍ وَتَتَّقي ∴ بِناظِرَةٍ مِن وَحشِ وَجرَةَ مُطفِلِ [2]

أو قابلته بقول عدى بن الرقاع [3] :

وَكَأَنَّها وَسطَ النِساءِ أَعارَها ∴ عَينَيهِ أَحوَرُ مِن جَآذِرِ جاسِمِ

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه ، والمعنى واحد ، وكلا
حالٍ من الصنعة ، بعيد عن البديع ، إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة التى كـ

---

(١) امرؤ القيس : امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندى ، من أهل نجد من ال
الأولى ، قال لبيد بن ربيعة : أشعر الناس ذو القروح - يعنى امرؤ القيس - كان أبوه ملكا وطرد
صنع فى الشعر بقاطعة ما صنع ، ولما بلغه مقتل أبيه قال : ضيعنى صغيرًا وحملنى دمه كبيرًا ، لا ه
أبدًا ولا سكر غدًا اليوم خمر وغدًا أمر ، وخرج يطلب دم أبيه ، فانتهت إليه حلة مسمومة مات على أثره
(٢) وجرة : اسم موضع بين مكة والمدينة ، المطفل : ذات الطفل من الإنسان .
(٣) عدى بن الرقاع : هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع ، كان شاعرا مقدما عند بن
عبد الملك ، وهو جاهليٌ بالمولد بن عبد الملك ، جعله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام
من قضاعة وسكن الشام ، توفى سنة ست وعشرين ومائة . انظر : الشعر والشعراء : لابن قتيبة
١٤٥ ، والأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ٩ / ٣٥ .

هذه البهجة ، هذا وقد تخلل كل منها من حشو الكلام ما لو حذف لاستغنى عنه وما لا
فائدة فى ذكره [1] .

فخلو هذين البيتين من الصنعة والبديع لم يمنعهما من الوصول إلى القلب لجودتهما ،
وكذلك قد تضمنت مجموعة من أبيات أبى تمام فى الغزل كل " معنى بديع وصنعة لطيفة
، طابق وجانس ، واستعار فأحسن ، وهى معدودة فى المختار من غزله وحق لها ، فقد
جمعت - على قصرها - فنونا من الحسن ، وأصنافا من البديع تم فيها من الأحكام
والمتانة والقوة ما تراه ، ولكنى ما أظنك تجد له من مشورة الطرب ، وارتياح النفس ما
تجده لقول بعض الأعراب [2] :

أَقُولُ لِصاحِبي وَالعيسُ تَهوي ∴ بِنا بَينَ المَنيفَةِ فَالضِمارِ [3]
تَمَتَّع مِن شَمِيمِ عَرارِ نَجدٍ ∴ فَما بَعدَ العَشِيَّةِ مِن عَرارِ [4]
أَلا يا حَبَّذا نَفَحاتُ نَجدٍ ∴ وَرَيّا رَوضِهِ غَيثُ القَطارِ [5]
وَعَيشُكَ إِذ يَحُلُّ القَومُ نَجدًا [6] ∴ وَأَنتَ عَلى زَمانِكَ غَيرُ زارِ

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٣١ ، ٣٢ .
(٢) شرح ديوان الحماسة ٣ / ١٢٤ ، واللسان ٦ / ٢٣٥ . ونسبها للضحاك بن عبد الله القشيرى شاعر
إسلامى بدوى مُقل ، من شعراء الدولة الأموية ولحقه قرة بن هبيرة صحبه مع النبى ﷺ ووفادة ، وكانت
وفاته بالشام . انظر ترجمته فى : شرح التبريزى ٣ / ١٢١٥ ، والأغانى ٥ / ١٢٧ .
(٣) المنيفة : ماء لبنى تميم ، الضمار : موضع .
(٤) يقال : تمتع بكذا ومن كذا ، والشميم : مصدر شم ، والعرار : وردة ناعمة صفراء ، طيبة الرائحة
(٥) النفح : تضوع الرياح بالطيب ، والريا : الرائحة ، وعند كل شئ : عالته ، والقطار : جمع قطر ،
وهو المطر .
(٦) ورواية الحماسة واللسان : وريا روضه بعد القطار
ورواية الحماسة : وأهلك إذ يحل الحى نجدا

شهور ينقضين وما شعرنا .. بانصاف لهن ولا سرار [1]

وأما ليلهن فحمر ليل .. وأقصر ما يكون من النهار

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة ، قليل الألفاظ ، سهل المأخذ قريب التناول [2]

ثم يبين الجرجانى أن مذهب العرب فى الاستجادة يقوم على عمود الشعر وليس البديع ، لذلك فهو يعقب على كون صنعة المحدثين ليست هى سر الجودة ، بقوله : وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض " [3]

واضح مما تقدم أن الجرجانى يرى أن الصنعة عن طريق البديع لا تستطيع فى كل الأحوال أن تفسر لنا سر الجودة فى الشعر وهو يحاول الخروج عن ذلك المفهوم الذى أخذ به معظم أهل عصره ، من كون الجودة مسألة عقلية .

ولهذا فقد دفعه الإنصاف إلى الانتهاء إلى رأى وسط وهو ما مال إليه أغلب النقاد ، ومؤداه أن الصنعة البديعية تخاطب العقل ، فالشعر الذى يذهب فى هذا الاتجاه يحكم بالجودة بينما الذوق والطبع يخاطبان القلب وصفة الشعر العربى يخاطب القلب

---

(١) سرار الشهر : آخره .

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٣٣ .

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٣٣ ، ٣٤ .

شعر مطرب ، فالجرجانى يرى أن الشعر المطرب يهز المتلقى لأن أصله الطبع والشعر المصنوع أجود لأن أساسه العقل ، والعقل يطلب المعانى ليتأملها ويتلذذ بها ، بينما القلب يطلب اللفظ الرشيق ، حيث يقول : " وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب ، وعظم غنائه فى تحسين الشعر ، فتصفح شعر جرير وذى الرمة فى القدماء ، والبحترى فى المتأخرين ، وتتبع نسيب متيمى العرب ومتغزلى أهل الحجاز ، كعمرو وكثير ، وجميل ، ونصيب وأضرابهم ، وقسهم بمن هو أجود منهم شعرا ، وأفصح لفظا وأحلى قال إلا ما قاله فلان " ! فإن روعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم ، وإنما تفضى إلى المعنى عند التفتيش والكشف ، وملاك الأمر فى هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والعنف به " [1]

ثم يزيد الجرجانى هذه الملاحظة وضوحا بتفريقه بين شعر الصنعة الذى يتبين فيه أثر الاحتفال والعناية والمراجعة ، وبين شعر الطبع البعيد عن التثقيف والمعاودة ، فيصف شعر الصنعة بالجودة بينما يصف شعر الطبع بأنه مطرب ويميل فى أثناء كل ذلك إلى الطبع ، فيقول : " .... ومتى أردت أن تعرف ذلك عيانا ، وتتبينه مواجهة ، فتعرف الفرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفصل ما بين السمح المنقاد والعصى المستكره ، فاعمد إلى شعر البحترى ، ودع ما يصدر به الاختيار ، ويُعدُّ فى أول مراتب الجودة ، ويتبين فيه أثر الاحتفال ، وعليك بما قاله عن عفو خاطره ، وأول فكرته .... ثم انظر : هل تجد معنى مبتذلاً ولفظا مشهورا مستعملاً ! وهل ترى صنعة وابداعا ، أو تدقيقا أو إغرابا ! ثم

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٢٤ ، ٢٥ .

تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك
الطرب إذا سمعته " (١)

وقد توصل الجرجانى إلى ملاحظة سر الجودة إذ رأى أنه يكمن فى أن " تستع
النفوس المهذبة ، وتستشهد عليه الأذهان المثقفة " (٢) . وهو يفسر ذلك بقوله : "
الكلام أصوات تحلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار ، وأنت قد ترى الص
تستكمل شرائط الحسن ، وتستوفى أوصاف الكمال ، وتذهب فى الأنفس كل مذه
وتقف من التمام بكل طريق ، ثم تجد أخرى دونها فى انتظام المحاسن ، والتئام الخلق
وتناصف الأجزاء ، وتقابل الأقسام ، وهى أحظى بالحلاوة ، وأدنى إلى القبول ، أ
بالنفس ، وأسرع ممازجة للقلب ، ثم لا تعلم – وإن قاست واعتبرت ، ونظ
وفكرت – لهذه المزية سببا ولما خصت بها مقتضيا .

ولو قيل لك كيف صارت هذه الصورة ، وهى مقصورة عن الأولى فى الإح
والصنعة ، وفى الترتيب والصيغة ، وفيما يجمع أوصاف الكمال ، وينتظم أس
الاختيار أحلى وأرشق وأحظى وأوقع ؟ لأفحمت السائل مقام المتعنت المتجانف ، و
ردّ المستبهم الجاهل ! ولكان أقصى ما فى وسعك ، وغاية ما عندك أن تقول : هو
القلب ألطف ، وهو بالطبع ألبق ... كذلك الكلام تجد منه المحكم الوثيق والجزل
، والمصنع المحكم ، والمنمق الموشح ، قد هذب كل التهذيب ، وثقف غاية التثقي

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٢٥ – ٢٧ .
(٢) السابق ص ٤١٢ .

وجهد فيه الفكر ، وأتعب لأجله الخاطر .... ثم تجد لفؤادك عنه نبوة ، ترى بينه وبين
ضميرك فجوة " (١) .

إن مدار الشعر فى نظر الجرجانى إنما هو على التأثير النفسى وذوق الناقد المقتدر ، ودليل ذلك أنّ الكلام محكم ، وخالى من العيوب الظاهرة ، ومستوف لكل مقومات التعبير ، ومع ذلك لم يجد طريقًا يعبر من خلاله إلى قلب المتلقى ، وحيل بينه وبين ارتياح النفس إليه ، وليس لذلك من سبب ظاهر ، وإنما هو يرجع إلى روح الكلام ، وما قد يوحى به من تكلف الشعور والإحساس ، وما ينشأ عنه من فتور العاطفة وبرود النفس إلى غير ذلك من أشياء تعدو الشكل والعبارة إلى الجوهر والروح .

لذلك لم يستطع استماتة محاولة قدامة فى تكوين " علم للشعر " تفسّر من خلاله الجودة والرداءة ، والصحة والخطأ ، على غرار علم النحو أو علم اللغة ، حيث يقول : " .... فإن توسعت فى الدعاوى فضل توسع ، وملت مع الحيف بعض الميل حتى تناولت طائفة من المختار، فجعلته فى المنفى ، وأخذت غيره من الجيد فجعلته مع الردى – ولسنا نتازعك فى هذا الباب – فهو باب يضيق مجال الحجة فيه ، ويصعب وصول البرهان إليه ، وإنما مداره على استشهاد القرائح الصافية ، والطبائع السليمة ، التى طالت ممارستها للشعر ، فحذقت نقده ، وأثبت عياره ، وقويت على تمييزه ، وعرفت خلاصه ، إنما تقابل دعواك بإنكار خصمك ، ونعارض حجتك بإلزام مخالفك إذا صرنا إلى ما جعلته من باب الغلط واللحن ونسبته إلى الإحالة والمناقضة ، فأما

---

(١) الوساطة ص ٤١٢ ، ٤١٣ .

وإذا رجعنا إلى الوراء قليلا لوجدنا شعراء البديع حين في العصر العباسي كانوا يتوفون ويتفننون في أشعارهم وذلك كما كان يفعل زهير والحطيئة وأشباههما ، وتنظر إلى ما قاله بشار في هذا السبيل : " وبنى تكتب بشعره وتعنى به عناية الأشراف والقادة ، وحولوا الملوك والسادة ، في قصائد المدائح ، وبالطوال التي تشتمل على السوم والغزل ، ثم لم يعد بدا من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما ، فإذا قالوا في غير ذلك اختصروا عفو الكلام وتركوا الجهود "(١)

(٢) حب الزخرفة والميل إلى الترف

لاشك أن الحياة في العصر العباسي انفسحت على ثقافات متعددة وعادات مختلفة ، وأنماط حياتية متشعبة ، وكلام الناس مثل سلوك حياتهم لابد وأن يتأثر بمسرح الحياة وزخرفها فاعتمد جماعة الشعراء على البديع وألوانه ، يعبرون فيه عن رغباتهم كما يتخذونه من تزاويق وزخرفة يلونون به قصائدهم فتصير كالتحف تقدم بين يدي أمراء مترفين لم يكونوا بحاجة إلى سماع شعر آخر غير هذا الشعر الذي يعبر عن ذلك الترف البالغ الذي يحيطون به أنفسهم ، في مجتمع طبقي حاد الطبقية ، وتعرفة الشعراء للذوق هؤلاء الذين يرعونهم ، أسرفوا في تقديم مجموعة كبيرة من القصائد المزخرفة ، بين فيهم أولئك الذين

---

(١) البيان والتبيين ٢ / ١٣ ، ١٤ .

(١) التكسب بالشعر :

لقد كثر من الشعراء الشعر حرفة لهم بغية التكسب به في زمن الخلافة العباسية وكان لزاما على الشاعر أن يجود في شعره ويزينه حتى ينال رضا الممدوح مما دفع الشاعر إلى مراجعة قصيدته وتهذيبها وتحسينها ألوانا مختلفة من البديع ، مما أدى إلى

---

(١) الوساطة ص ٩٩ ، ١٠٠ .

لا يصفون عادة ضمن الشعراء المبرزين فى الصنعة كالبحترى فى القرن الثالث والم

فى القرن الرابع

وكان البحترى بدوره صانعا إلا أنه يعكس أى تمام إذ كان أشعف بالمطابق ، و
عن التجانس ، وتعمقه فى وجوه الصنعة ، كما يقول الباقلانى : " على وجه طل
السلامة ، والوقوع فى السلاسة ، فلذلك يخرج سليما من العيب فى الأكثر " (١)
يختص بذلك صنعه عن كثير من النقاد ، فى حين أنه كان صاحب صنعة ، إلا
صنعة لطيفة ، تغلب بالألفاظ الرشيقة التى هى من سمات المطبوعين ، وقد انتبه
الباقلانى فقال عن أنصار هذا المذهب : " ... ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما
أكثر صنعة ، وألطف تعملا ، وأن يتخيروا الألفاظ الرشيقة للمعانى البديعية ، والقس
الرائقة ، كمذهب البحترى .... " (٢)

وكذلك يصفه ابن رشيق بأنه كان صاحب صنعة ، إلا أنه كما يقول عنه : "
أصبح صنعة ، وأحسن مذهبا فى الكلام ، يسلك منه دمثة وسهولة مع إحكام التص
وقرب المأخذ ، لا تظهر عليه كلفة ولا مشقة " (٤)

---

(١) المتنبى : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين ، المعروف بالمتنبى الشاعر المشهور ، وهو من أهل الك
ولد بالشام فى صباه ورحل فى أقطاره واتصل بقصور الأدب وميز فيها ، له ديوان شعر اعتنى
شرحه ، وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثمائة بالكوفة ، وقتل بالصافية غربى بغداد سنة أربع
وثلاثمائة . انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ١٣٤ - طبع دار الكتب العلمية .

(٢) إعجاز القرآن للباقلانى ص ١٦٢ .

(٣) إعجاز القرآن للباقلانى ص ١٦٧ .

(٤) العمدة لابن رشيق ١ / ٢١٢ - طبع الخانجى

فالبحترى شأنه شأن أقرانه من شعراء الدولة العباسية كان يواكب الذوق السائد فى القرنين الثالث والرابع الذى يتميز بالميل إلى الصنعة ، ولم تخف على الآمدى هذه المسألة ، فهو مع وصفه البحترى بالطبع والبعد عن هذه الصنعة (١) ، يلاحظ عن لسان صاحب البحترى أنّ فى شعره كثيرًا من الاستعارة والتجنيس والمطابقة " (٢)

هذا مع أنّ كثرة استعمال البديع لا يمكن أن تكون مصادفة دون معاودة وتنقح ، أى دون صنعة ، لأن هذا - كما يقول ابن رشيق - " ليس فى طباع البشر " (٣) ولكن اتباع البحترى عمود الشعر أخفى هذه الحقيقة على كثير من النقاد الذين كانوا يعتقدون أن الصنعة والتكلف من سمات المحدثين .

التأثر بالنزعة العقلية :

لقد نشطت الحركة الثقافية فى القرنين الثالث والرابع نشاطًا كبيرًا فازدهرت كافة العلوم والفنون ، وازدهرت الآداب ونضج العقل العربى ، فوجد سبيلا للبحث ومجالا للتفكير بما تيسر له من سعة الفكر وعمق الثقافة .

وكان الشعر العربى من بين هذه الفنون التى تأثرت بهذه الروح الجديدة التى دبت فى الحياة العباسية ، جاء فى " الإمتاع " عند الحديث عن الفرق بين الكلام المبتعث عن نفور البديهة وبين الكلام المبتعث عن كدّ الروية : " .. وعيب عفو البديهة أنْ تكون

---

(١) الموازنة للآمدى ص ١١ .

(٢) السابق ص ٢٠ .

(٣) العمدة لابن رشيق ١ / ٢١٢ - طبع الخانجى .

صيغته ، ويخرجه إلى فساد التعسف ، وقبح التكلف ، وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ر
بعفه هاجسه ، وتنقه وساوسه ، من غير إعمال النظر ، وتدقيق الفكر ، يخرجه إلى
المشتهر الوث ، وحو الغث ، وأحسن ما أجرى إليه ، وأعول عليه ، التوسط بـ
الحالين ، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة " (١)

ثم يقول الحصرى – بعد ذلك وهى أسلم نظرة نقدية فى الموضوع قال بها ناقد
" (٢)

– " والمحترى من هذا القوس يترع ، وإلى هذا النحو يرجع

ومن خلال ما تقدم نصل إلى هذه النتيجة وهى : أن الصراع فى حقيقتـه لم يكـ
صراع طبع وصنعة كما تصور ذلك الآمدى ، وإنما كان الخلاف بين صنعتين : ص
فى البيت بالطبع ، نتج عنها ذلك الشعر الذى أطلق عليه " الشعر المطبوع المصنو
، وصنعة تكاد تكون خالصة حيث لم تصل إلى حد التكلف الشديد كصنعة أبى تمام
سار على نهجه واتبع طريقته .

أما الطبع الخالص فلم تكن البيئة حينذاك تستطيعه تذوقه والانتصار له للأسـ
التى سبق ذكرها . وبذلك يكمن مقياس جودة الشعر فى نظر هؤلاء النقاد الذين ع
فى ظـلال الدولـة العباسـية فى تلـك الصنعة الـتى لا تصـ
حد التكلف وتخرج إلى حيز العيب

---

(١) زهر الآداب للحصرى ٣ / ١٩٦

(٢) السابق نفسها

أما الطبع فقد كان أنسب لأولئك الشعراء البدو القدامى عنه بشعراء التكسب والترف وحضارة الحياة فى ظلال الدولة العباسية .

الباحث

د / حمام السيد أحمد بدوى

المصادر والمراجع

١ - الوساطة بين المتنبي وخصومه - للقاضي الجرجاني - طبع عيسى البابي الحلبي ثم

٢ - الشعر والشعراء - لابن قتيبة - طبع عالم الكتب - الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٣ - الحيوان - للجاحظ - تحقيق / عبد السلام هارون - القاهرة طبع البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ .

٤ - الخصائص - لابن جني - تحقيق / عبد الحكيم محمد - طبع المطبعة التوفيقية ثم

٥ - الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني - طبع دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .

٦ - إعجاز القرآن - للباقلاني - طبع دار الجيل - بيروت - طبعة أولى ١٩٩١ م

٧ - العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني - تحقيق د / النبوي ع الواحد شعلان - نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .

٨ - البيان والتبيين - للجاحظ - تحقيق / عبد السلام محمد هارون - طبع الخانج الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

٩ - العقد الفريد - لابن عبد ربه - تحقيق / عبد المجيد الترحيني - طبع دار الك العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

١٠ - الصناعتين - لأبي هلال العسكري - تحقيق / مفيد قميح طبع دار الكتب العلمية - بيروت .

١١ - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - للآمدي - تحقيق / السيد أحمد ص طبع دار المعارف - الطبعة الرابعة .

١ - القاموس المحيط - للفيروز أبادي - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م .

١٦ - البرهان في وجوه البيان - لابن وهب - تحقيق د / أحمد مطلوب ، د / خديجة الحديثي - طبع بغداد - مطبعة العاني - طبعة أولى ١٩٦٧ م .

١٧ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - طبع ونشر المدني بالقاهرة .

١٨ - أصول النقد الأدبي - د / طه مصطفى أبو كريشة - طبع دار نوبار للطباعة بالقاهرة - طبعة أولى ١٩٩٦ م .

١٩ - الموشح - للمرزباني - تحقيق / علي محمد البجاوي - طبع دار الفكر العربي .

٢٠ - أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا - د / عبد الله بن محارب - طبع الخانجي .

١٧ - أساس البلاغة - للإمام الزمخشري - طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة .

١٤ - الأوراق - للصولي - مطبعة الصاوي بمصر - الطبعة الأولى ١٩٣٤م .

٢٢ - البديع - لابن المعتز - تحقيق / اغناطيوس كراتشوفسكي - طبعة مصورة عن طبعة لندن ١٩٣٥ م .

٢٣ - الإمتاع والمؤانسة - للتوحيدي - تحقيق / أحمد أمين ، وأحمد الزين - دار مكتبة الحياة - بيروت .

٢٤ - المفضليات - للضبي - طبع ونشر مكتبة الثقافة الدينية - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .

٢١ - الأعلام - خير الدين الزركلي - طبع دار العلم للملايين .

٢٤ - جمهرة أشعار العرب - لأبي زيد القرشي - تحقيق / علي محمد البجاوي - طبع بيروت .

٢٥ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - للبغدادى - طبع دار الكتب الع
- بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
٢٦ - دلائل الإعجاز فى علم المعانى - عبد القاهر الجرجانى - المطبعة التوفيقية
- الطبعة الثانية - بدون تاريخ .
٢٧ - ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى - تحقيق / محمد عبده عز
طبع دار المعارف .
٢٨ - ديوان حسان بن ثابت - تحقيق د / سيد حنفى - طبع دار المعارف .
٢٩ - ديوان البحترى - طبع دار الكتب العلمية - بير
الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٣٠ - زهر الآداب وثمر الألباب للحصرى - حققه / زكى مبارك ، ومحمد مح
عبد الحميد - طبع دار الجيل - بيروت ١٩٧٢ م .
٣١ - شرح ديوان الحماسة - للمرزوقى - نشره / أحمد أمين ، و عبد السلام
- طبع دار الجيل - بيروت ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
٣٢ - عيار الشعر - لابن طباطبا العلوى - تحقيق د / محمد زغلول سلام -
التقدم بالإسكندرية .
٣٣ - قانون البلاغة فى نقد النثر والشعر - ابن حيدر البغدادى .
٣٤ - لسان العرب لابن منظور - طبع دار إحياء التراث العربى - بيروت .
٣٥ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء - لحازم القرطاجنى - تقديم وتحقيق / محمد
بن الخوجة - دار الكتب الشرقية .
٣٦ - مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - المطبعة التوفيقية

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء - للراغب الأصفهانى - صححه / محمد السملوطى - جمعية المعارف المصرية .
- نقد الشعر - لقدامة بن جعفر - تحقيق / كمال مصطفى - طبع الخانجى - الطبعة الثالثة .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٨ .

* * * *